روائع الأدب الفرنسي الكلاسيكي

جان راسين

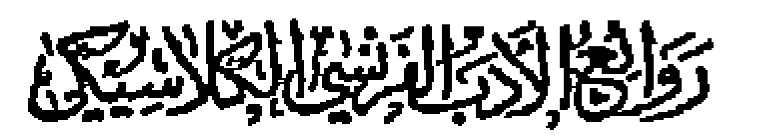
ميتريدات

مأساة

ترجمة

يوسف محمد رضا
خليل شرف الدين

دار الكتاب اللبناني


روائع الأدب الفرنسي الكلاسيكي

جان راسين

ميتريدات

مأساة

ترجمة

خليل شرف الدين
أستاذ أدب عربي

يوسف محمد رضا
أستاذ أدب فرنسي

منشورات
دار الكتاب اللبناني
للطباعة والنشر

جميع الحقوق محفوظة
١٩٦٨

المقدّمة

ان مأساة ميتريدات التي أحرزت نجاحاً كبيراً في القرن السابع عشر أصبحت في أيامنا هذه موضوع جدل بين معجب ومنتقد . ونحن نعرف الكلمة التي أطلقها «جيل لومتر» والتي يقول فيها «اذا وجدتني مرغماً على ان أختار ، فان المأساتين من بين مآسي راسين اللتين أضحّي بهما باقل بأس ممكن هما : « ميتريدات وايفيجيني» . فبالرغم من إعجابه بشخصية ميتريدات لام راسين على أنه جعل من مأساة ميتريدات ـ التاريخ ـ مأساة على طراز مفهوم العصر أيام لويس الرابع عشر . كما يرى ان الدراما الخاصة تنال قليلاً من قيمة المأساة التاريخية . ونحن نرى ان المأخذ الأول صحيح من بعض وجوهه : فالتملق والظرف والغزل أمور لم تخلُ منها قط مأساة من مآسي راسين ما عدا مسرحية أتالي الخالية من شؤون الحب وشجونه .

أما المأخذ الثاني وهو ان الدراما الخاصة تنال قليلاً من قيمة المأساة التاريخية فاننا لا نراه صحيحاً كل الصحة باعتبار ان راسين كان دأبه دائماً ألا يتقوقع في بوتقة التاريخ الذي يستقي منه مآسيه ، بل ينحت منه فيها

نماذج أقرب الى الواقـع من جهة وأشد قرابة مع النفس البشرية من جهة أخرى دون ان يتنكر للأسطورة كل التنكر .

قد نجد لأول وهلة صعوبة في التمييز بـين الرواية الغرامية المؤثرة والصفحة التاريخية الجميلة وخاصة حين نحاول ذلك لدى تفهمنا لعناصر المأساة في مسرحية ميتريدات. ويرى لوسيان غولدمان ان هذه المسرحية هي أقرب الى المأساة منها الى الفاجعة «ذلك لأن الصراع يجد فيها ـ اجمالاً ـ الحل نتيجة « للتدخل المفاجىء » لعامل كان من الممكن ألا يتدخل » فلو لم يَمْثُلْ زيفاريس ظافراً أمام أبيه المحتضر لكنا وجدنا ، وهـذا صحيح ، جثتين بدلاً من جثة واحـدة في نهاية المسرحية . لهذا يجب ان نفترض ان المأساة هي ، مجرد آلة للقتل ولا شيء سوى القتل ، بحيث لا نأخذ بعين الاعتبار سوى نتائجها: هذه الآلة المعدة جيداً عليها ان تقذف في نهاية الفصل الخامس حصتها من الجثث . فاذا نظرنا اليها من هذه الناحية فان « الآلة المأساوية » لمسرحية ميتريدات تعمل بروية واقتصاد — أو هي على الأصح — لا تعمل حتى النهاية . انها فقط تقود ضحاياها الثلاث بصبر وأناة الى الموت المحتم ، بيد انها تشمل بالعفو اثنتين منها في آخر لحظة . والواقع ان هذه المأساة لا تستوعب عند اللحظة المشؤومة ولا تتوج او تنهي المصائر فحسب بل هي تستوعب عند الخطوات الحرجة المتوترة التي تقود اليها هذه المصائر بطريقة فذة ومدروسة لدرجة ان الضحايا القلقة المتخوفة من نهاياتها الفاجعة تواجه هذه النهايات بشجاعة — رغم كل شيء — لأنها تجد فيها خلاصها الوحيد . وهكذا يفعل زيفاريس ومونيم اللذان يسعيان اليها بشكل حتمي في تلك اللحظة حيث تخرج من فمويهما العبارة

التي تجعلها وجهاً لوجه أمام الموت وهي « لا بل سأموت » قالها زيفاريس في البيت ١٢٤٧ ؛ و« سألقى الموت» قالتها مونيم بدورها في البيت ١٤٩٩. انهما يسهمان مع ميتريدات في تحقيق لعبة الموت ويمثلان معه الدور الفاجع فيها . انهما يعيشان تحت وطأة التهديد المستمر ولا يريان الشرَك إلا حين يلفهما بحباله . ففي كل تطور من تطورات الموقف تتأكد لحظة من لحظات المؤامرة الكبرى التي يحيكها القـــدر ضدهما . فمنذ رفع الستارة نراهما مهيئين للوقوع في ذلك الشرَك : ويأتي الخبر الكاذب عن موت الملك ليعد الهلاك لمونيم وزيفاريس وفرناس وميتريدات في آن واحد. للأولين بسبب تواعدهما على اللقاء في ظروف جديدة ولأنهما سيتذوقان لذاذة حبهما ويعيشان من ثم في خوف وقلق دائمين . أما فرناس فلأنه سيحاول تحقيق مطامعه مما سيعرضه لغضب أبيه الملك . وميتريدات لأنه جمع حوله وفي قصره (بسبب هذا الخبر الكاذب) أولئك الذين لا يستطيعون ان يثبتوا وجودهم إلا في تجريده مما يريد أن يكونه : رجلاً محبوباً وملكاً مهاباً . لذا فكل مفاجأة مسرحية وكل بوح وان كان همساً يدفعان بهم نحو الهلاك .

ولكن الخطر الأكثر خفاء والأشد شؤماً إنما يكمن فيهم هم ؛ اذ ان مشاعرهم ورغباتهم هي التي تدفع بهم الى ما لا يمكن ان يكون سوى الموت. انها دائماً الحاجة في البقاء ، في الغزو والسيطرة ، في الحب ، في تحقيق الذات. كل واحد منهم يحس في قلبه فراغاً يسعى جاهداً الى مَلْئِه: ففرناس يريد مملكة وزيفاريس يريد قلباً وميتريدات يريد الاثنين معاً . أما مونيم فتريد نفسَها . والكل يريد التملك .. ولكن لكي ينال كل منهم مأربه لا بد له ان يخرج من الظلام المشترك وان يخاطر بنفسه ملقياً بها في وسط الساحة

حيث يصبح هدفاً وفريسة في آن . واذا كانت مونيم تريد ان يكون زيفاريس لها فان عليها ان تصرح بذلك لفوديم ولزيفاريس وعلى الأخص لميتريدات فتعرض نفسها للموت . وكذلك الأمر بالنسبة لميتريدات فلكي يتوصل الى حقيقة مونيم عليه ان يكتشف مكنونات قلبها ، حيث سيجد مصيره التاعس بالذات . وهكذا فان هذا الدور الضروري لتلك المغريات البعيدة المدى تخلف جحيماً لا يطاق حيث كل كلمة بل كل نأمة هي أحبولة ، وحيث الاخلاص مسلح بالمخالب ، وحيث تمزق صراحة مونيم قلب ميتريدات ،وحيث تتحول أجمل الهبات لدى مونيم وزيفاريس الى نكران للذات وتجرد مثالي . ويبدو ان قانون السيكولوجية الراسينية يتطلب من البطل الا يتوصل الى « الامتلاك » الا بعد ان يمر بمرحلة الاعتراف والمعرفة اليقينية ؛ وتريد القاعدة المأساوية ، في أغلب الأحيان ، ان تقرر استحالة الامتلاك بمجرد حدوث الاعتراف والتيقن ، عندئذ لا يبقى أمام البطل غير مخرج واحد : الهلاك أو الجريمة .

لذلك فان زيفاريس ومونيم وفرناس وميتريدات يشخصون جميعاً بأبصارهم نحو هدف واحد هو تحقيق رغباتهم . غـــير أن كل حركة من حركاتهم تبعدهم عن بلوغ ذلك الهدف بل تحرمهم منه .

ففي عملية التجريد المأساوي أو الحرمان يبرز ميتريدات ذاك البطل المثالي النادر : ان قلبه مترع حتى الأعماق بحلم كبير هو امتلاك امبراطورية وامرأة ولا شيء سواهما . هذان هما في الواقع قمة الرجولة وغاية غاياتها . بيد ان ميتريدات عجوز ومملكته تذهب بَدَداً ومن العبث – والحالة

هذه — ان يأمل بغزو قلب مونيم . ناهيك بان عليه ان يحسب حساباً لولديه وهما ذئبان فتيّان على شاكلته : أحدهما وهو فرناس متعطش للسلطة السياسية . والآخر وهو زيفاريس به جوع الى الحب . فعلى ميتريدات اذن ان يفتح عينيه جيداً وان يكشف دائماً عن قوته . ولكن ميتريدات يغالي في اللجوء الى هذه القوة حتى انه يجعلها عديمة الفائدة بالنسبة له ، وذلك لأنه كلما أراد ان يمارس سلطته أفلت منه زمام السيطرة على العالم ومن هنا تتزايد عنده تلك الحاجة للحُلُم (وما المشهد الأول الكبير من الفصل الثالث سوى تعبير عن ذلك الحلم) . ذلك الحُلُم هو المكان الذي يلتجىء اليه البطل وتثار فيه الإرادات والانتفاضات الخفية حيث انها لا توجد الا في حالة « الصور المجردة » ، وحيث تبدي عجزها عن تحقيق ذاتها حتى في صميم تألق هذه الصور وتدفقها . إنها عجز وشلل مؤلمان : فاعارة الانتباه لذلك الحلم وهذه الصور يشير الى قساوة هـذا الحرمان وضراوته . والديكور نفسه يَسْهم في تجسيد ذلك : ففي خارج القصر ميناء يوحي بوجود مراكب وجنود وبحارة ؛ هذا الميناء هو المنفذ الوحيد الى السماء والبحر والمغامرة . ولكن هل من رحيل ؟ ... في ايفيجيني لم يكن ينقص غير الرياح . أما في « ميتريدات » فينقص اتفـاق الظروف التاريخية والعاطفية .

انها نهاية مملكة وفشل حب . لم يعد لميتريدات شيء سوى الألم والعذاب .

وإذا ما انقلبت « اللوحة التاريخية » إلى دراما فذاك لأن راسين قد أضاف إليها قصة غرامية : قصة الشيخ العاشق الغيور من ولديه . فهل تمتزج

معطيات التاريخ والأسطورة الفروسية امتزاجاً كافياً أم هل يشكل العمل المسرحي وحدة متكاملة ؟ إذا استثنينا بعض أقسام هامشية من هذا العمل فإننا نجد راسين يبدع في الربط بين الواقع والقصة . ولعل النهاية وحدها هي التي تخضع لعملية النقد : فبالرغم من أن راسين قد دمغ ميتريدات دمغاً قوياً بطابع « الحقد العنيف على الرومان » ، وأن موته (كما جاء في مقدمة المؤلف) كان النهـاية الحتمية لمأساته ، بالرغم من كل ذلك يبدو أن هذا الاحتضار الذي كاد يكون احتضاراً مسيحيـاً ، حيث نرى الملك يغفر لابنه الذي ورث عنه بإخلاص حقده وبغضاءه للرومان ، هذا الاحتضار لم يكن مهيّئاً بشكل كاف ، ولقد أحدث بعض المفاجأة عند الملك الحاقد نفسه . والحقيقة هي أن راسين بعد أن استنفد الفائدة السيكولوجية التي عرضها علينا من خلال طبائع شخصياته قد أنجزها كما يشاء ويقدر : أراد فقط أن يتجنب المذبحة العامة التي يبدو أن منطق الأشياء والتدرّج المأساوي قد قاداه إلى ذلك . فهو حين أراد أن يساير النفوس المرهفة لجأ إلى الحيلة ليمنح مأساته نهاية سعيدة هي الوحيدة من بين نهايات مسرحياته التي تختتم دائماً بالفواجع والكوارث والانتحار والحرمان والجنون .

ولمـا كانت « الحادثة » تجري في نفوس الشخصيات فإن الفائدة السيكولوجية وبالتالي المأساوية تتجه بطبيعة الحال إلى الشخصيتين الكبيرتين في هذه المأساة وهما ميتريدات ومونيم . أمـا زيفاريس فهو — بلا شك — مَثارُ عطفنا وإعجابنا ونحن نحبه لذينك الوفاء والإخلاص اللذين يَكنـّهما لأبيه في السرّاء والضرّاء . ولكن العاشق فيه يفسد السياسي : فغرامـه مخلصٌ وَفِيٌّ غير أنه كان كثير الوجل والخضوع وعلى استعداد دائم

للتضحية . ولعل طبيعة فرناس كانت تبدو أكثر مأساوية من طبيعة أخيه: ففرناس في هذه المسرحية بغيض ولكنه ليس حقيراً؛ وهو ماهر لبق، وحين يقاوم أباه فإن لهجته لا ينقصها العنفوان ولا وقاحته شيء من العظمة .

إن ميتريدات يسيطر على ولديه بقامته الكبيرة وبجسمه الذي لا يكل ولا يمل ، وبشهرته الواسعة وبانتصاره على كل مصيبة حلت به . يكفي أن نقرأ أطروحة السيد ت. ريناك Th. Reinach عن « ميتريدات ايپاتور» لكي نرى بأية عناية أبرز راسين الصفاتِ والخصائص الأكثر أهمية التي يتمتع بها هذا الملك المدهش . إن هيئته في مجموعها غريبة فضولية جذابة . وهو يتحلى دائماً بصفات القـائد الكبير والملك الخطير وذلك بفضل جرأته في مخططاته وشجاعته في تنفيذها وثباته في خضم الشقاء . ولكن ميتريدات هذا الذي دُعيَ بـ« بطرس الأكبر القديم » والذي يبدو من بعض النواحي بطلاً وشهيداً للحرية ضد الاستعمار الذي اجتاح الشرق آتياً من روما ، ميتريدات هذا ليس إلا سلطاناً شرقياً مغرماً بالنساء مستسلماً لهن بجنون وسعار، سلطاناً متعصباً حقوداً دموياً، ورغم كل المظاهر فانه يفشل في تحقيق هدفـه الكبير . ان هذا البربري لم يكن إلا « ملكاً مأساوياً » بطبعه. لذا فالقصة التي تخيلها راسين، لكي يحبك الحادثة في مأساته ويجعل منها إطاراً لشخصية ميتريدات، ليس لها من الناحية السيكولوجية ظل من الواقع أو الاحتمال . فالعاشق العجوز الذي تتحكم به العـاطفة في العمل المسرحي وتحدد التغيرات المأساوية ليس هو بالعاشق العـادي . ولقد أظهر جيداً راسين عنفَه الوحشي وقساوته وتكتمه وأخيراً « تلك الغَيرة التي كانت مألوفة لديه والتي كثيراً ما كلفت عشيقاته حيـاتَهن . » إن هذا العجوز

الطاغية ينظر الى الحب نظرته الى ساحة معركة طاحنة حيث يندغم المكر بالقوة والتهديد فهو حين يجد نفسه مخدوعاً يستسلم لهياجه وغضبه حيث نراه تارة في موقف مؤلم ومضحك معاً وتارة أخرى بغيضاً كريهاً ومثيراً للشفقة والرثاء ، وثالثة مخيفاً ضعيفاً . تلكم هي حقاً العبرة العميقة لتلك الجبلّة المليئة بالحقيقة الخاصة والحقيقة العامة في الوقت نفسه .

إن في ذلك التضاد بين رجل الحرب الذي لا يُقهر وبين الاستسلام الأعمى وجزع العاشق البائس كلّ القوة والضعف الانسانيين .

أما مونيم التي كان عليها في الأساس أن تمنح اسمها لهذه المأساة فقد كانت من أصفى مخلوقات راسين . إذ ما من امرأة استطاع راسين أن يفهم من خلالها قلبَ الأنثى كما فهمه من خلال مونيم. فحَوْل هذه الصورة التي خلق سماتها من كل لون لم يحتفظ أول الأمر بسوى طابعها التاريخي والأسطوري . إنها صورة تلك الفتاة الحسناء القادمة من « ايونيا » التي تسحرنا وتبعث فينا كل الذكريات الجميلة المرتبطة بموطنها الأول والتي تحييها الصبية الفاتنة بشاعرية مثيرة . وهي ، إلى هذا ، تتحلى بكل صفات المرأة ذكاءً وفتنة وطهارةً وحياءً وسحراً خجولاً . وفوق كل ذلك تتحلى بأجمل ما عند الرجل من صفات: تحت هذه اللهجة المعتدلة أي ثبات وأي إصرار رجولي يختبئان ! بل أية عذوبة حزينة تكمن فيها !

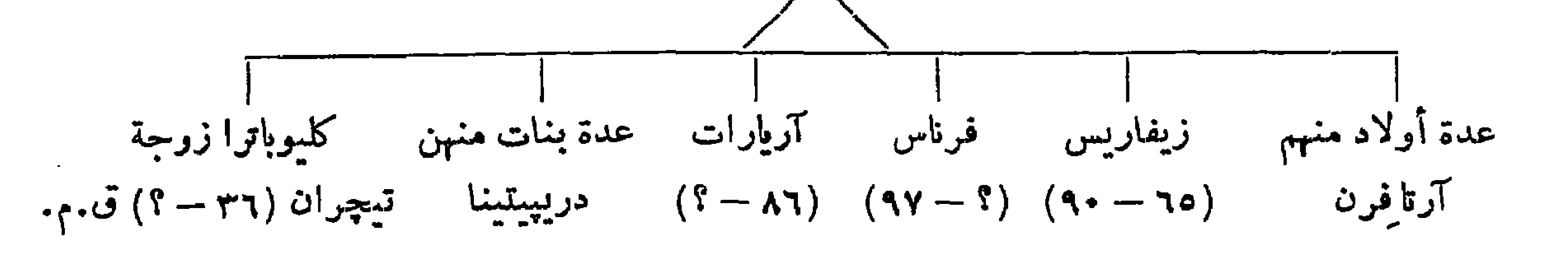
أما قلبها فمهما تتناوشه الغِيَرُ والأحداث يبقى لها ويبقى ذلك القلب الوَفي الكبير . إنها تقوم بواجبها، في عزم وتصميم ، حتى النهاية بلا ضَعف

ولا كَلال (وعلى الأخص في الموقف الأكثر خداعاً وعَناء.) غير أنها تقوم بذلك بلا تمرد أو عصيان ولا تذمر أو همس . إن فضيلتهـا تبدو رائعة ومثيرة لأنها جد متواضعة وكتومة . فهذه الصبية العذبة الطهورة هي في الحقيقة خير بطلة من بطلات سوفوكل (خير شقيقة لأنتيغونا) حيث تمتـاز باباء كريم ولطف مضمخ بالشذى والعبير. وهي تمثل أيضاً الفتاة الفرنسية الحقة أو امرأة القرن السابع عشر الشريفة المتعقلة بحكمة والفاضلة بصمت والمتحفظة بلباقة والصريحة بذوق والمهذبة حتى أمـام كل من لا يستحق التهذيب ، والقادرة على الطـاعة دون خضوع مذل والتي تعرف — لكي تكون دائماً محترمَة — كيف تحترم نفسها .

ان مونيم ترضى بأن تهب نفسها بلا حب ولكنها لن تهب نفسها دون أي تقدير أو اعتبار . ولعـل مونيم هي من بين بطلات راسين الأكثر جاذبية وإغراء والأكثر كمالا لكونها عرفت كيف توحد في اعتدال منسجم ومسلك سليم بين عذوبة بعضهن وحزم الأخريات . انها تحقق بذلك ما دعي « بالحشمة النبيلة والأدب الرفيع » مما يجعل لاروشفوكو مصيباً في قوله : « لا يتحلى بالعذوبة الا أولئك الذين يمتلكون القوة والعزم » .

المترجمان

شجرة عائـــلة ميتريدات المحتملة



أشخاص المسرحيّة

ميتريدات	ملك پونت وممالك أخرى عديدة
مونيم	نُصّبت ملكة بحكم خطوبتها لميتريدات
فرناس **زيفاريس**	ابنا ميتريدات من والدتين مختلفتين
أربات	كاتم أسرار ميتريدات وحاكم قلعة نانفيه
فوديم	نجية مونيم
أركاس	خادم ميتريدات
حرس	

تجري الحوادث في نانفيه ميناء على البوسفور
في شبه جزيرة القرم

الفصل الأوّل

المشهد الأول

زيفاريس — أربات

زيفاريس : — لقد رفعوا الينا يا أربات تقريراً لا يَرْقى اليه الشك :
ان روما قد انتصرت ، وان ميتريدات قد مات .
لقد هاجم الرومانيون أبي على مَشارف الفرات[1] ،
وأفسدوا عليه — أثناءَ الليل — تَرَبصَه المعهود ؛
فتشتّتَ جيشهُ كله بعد معركة طويلة ضارية ، ٥
تاركاً إياه بين حشود القتلى وقد ولّى الأدبار .
ثم نُمِيَ إليّ أن جندياً ألقى
بين يديّ پومپيوس تاجَ أبي وسيفَه .
وهكذا فان هذا الملكَ الذي أرهق وحدَه

---

١) لاحظ مقدرة راسين حين جمع في الأبيات الثلاثة الأولى كل ما يجب أن يعلمه النظارة من أحداث .

كلُّ مَن عَرَفتَهم روما مِن قواد كبار طوال أربعين
عاماً ١٠

والذي كان ينتقم لقضية جميع الملوك
تاركاً المصائر في الشرق مؤرجحةً في مَهَب الرياح ،
هذا الملك يموت وَيَخْلِفُ بعدَه ، ليثأرا لمصرعِهِ ،
وَلدين تاعِسين لا يَتفقان على حال .

أربات : — أنتَ يا سيدي ! ماذا ؟ هل للرغبة في الحكم مكانه ١٥
ان تجعلَ من زيفاريس عدواً لفرناس ؟

زيفاريس : — كلا يا عزيزي أربات ، أنا لا أسعى ، بدفع ثمن كهذا ،
الى شراء خرابٍ[1] مملكةٍ شقيةٍ تاعسة .
اني أحترمُ فيه أخاً كبيراً ؛
وإذ اكتفي[2] بما سأرثُ من إمارات ودول ٢٠
فسأنظرُ غيرَ آسفٍ الى الغنائم التي يوقِعُها في حوزته
كلُّ ما تُمَنّيه به صداقتُه للرومان .

أربات : — صداقة الرومان ! ابن ميتريدات يا سيدي !
هل هذا صحيحٌ حقاً ؟

زيفاريس : — لا تشكنّ في ذلك يا أربات .

1) Débris. 2) Et content.

ففرناس ، الروماني قلباً وقالباً منذ زمن بعيد ، ٢٥
ينتظرُ الآن كلَّ شيء من روما ومن المنتصر .
أما أنا ، الوفي لأبي أكثرَ من أي وقت مضى ،
فاني أُضمِرُ للرومان حقداً لن تمحوه الأيام .
ومع ذلك ، فان أحقادي ومطامحَه
هي أهونُ بَواعثِ شِقاقِنا وأيسَرُها . ٣٠

أربات : — إذن فأيُّ سببٍ[1] آخر يُثيرُ حفيظتَك عليه ؟

زيفاريس : — سأجعلكَ تُدهَشُ حقاً : إن مونيم ، هذه الحسناءَ
التي ملأتْ على أبينا الملكِ كيانَه وسحرتْ جنانَه
والتي أظهرَ فرناس عشقَه لها من بعده ...

أربات : — حسناً ، ماذا يا سيدي ؟ ٣٥

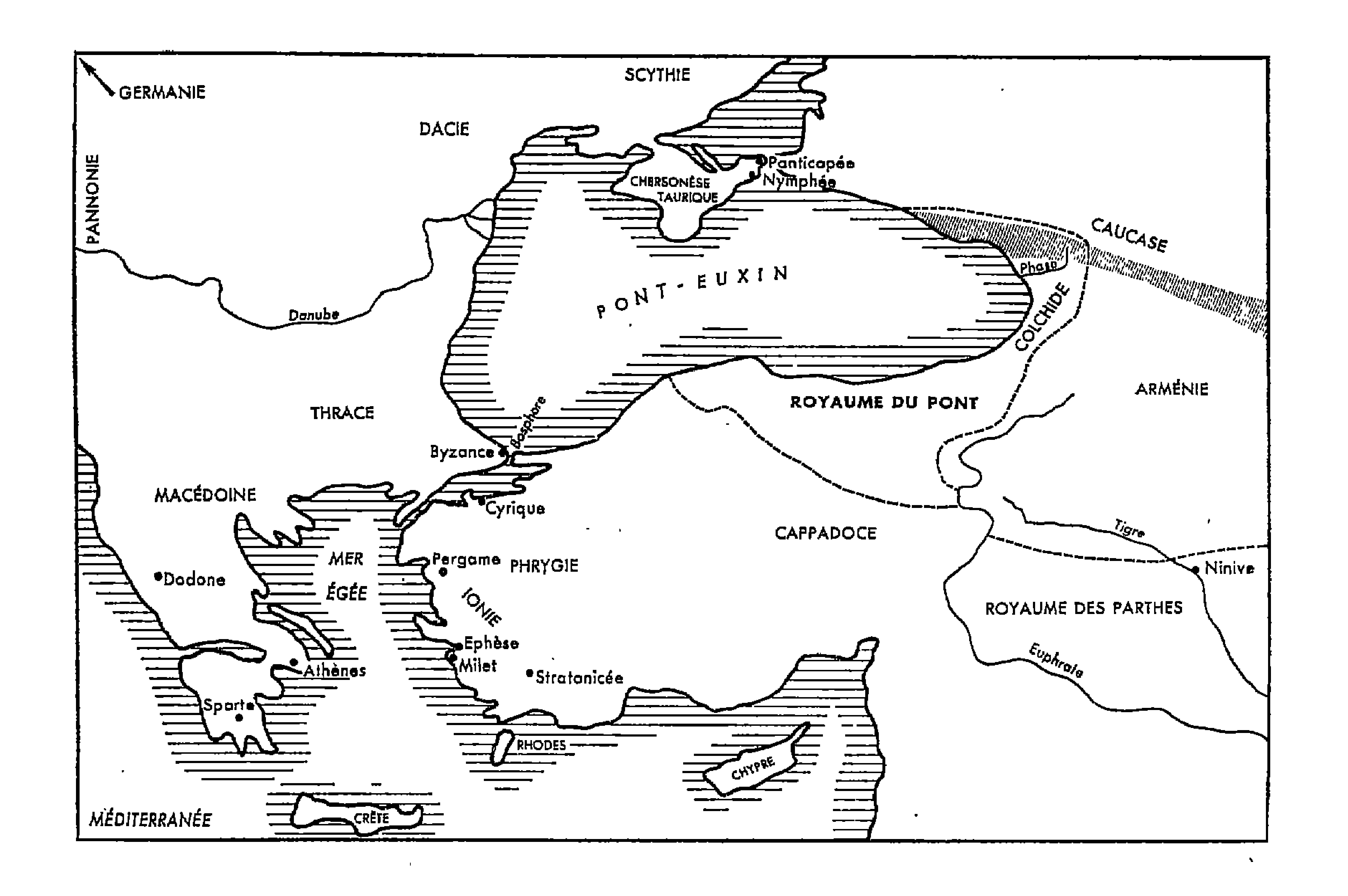
زيفاريس : — قد أحببتُها أنا ؛ ولن أكتمَ ذلك
طالما أنه لم يَعُدْ لي أخيراً من منافس سوى أخي .
لا شكَّ أنكَ لم تكن تنتظرَ سماع هذا الخبر ؛
ولكنه يا أربات ليس سِراً حديثَ العهد ،
فقد نما طويلاً حبي لها وترعرعَ طيَّ الصدور .
ما الذي لا يمكنني البوحُ به أمامك من عنف هــذا
الحب ، ٤٠

1) Intérêt.

ولواعجِ زفراتي الأولى وآلامي الأخيرة ؟
غيرَ أن الحالةَ المشؤومةَ التي أُرْغِمْنا عليها
لم يَعُدْ لها ان تشغَلَ بالي وتملأ ذاكرتي
باستعادةِ سياقِ قصةِ حبٍّ [قديم] .
حَسْبُكَ اذن ان تعرف ـ لكي أبررَ موقفي ـ ٤٥
أنني أولُ من رأى الملكةَ وعَلِقَها[1] ؛
وأن أبي كان يجهلُ حتى اسمَ مونيم
يومَ طويتُ خافقي على حبٍ لها طهور .
رآها ابي ولكن بَدَل ان يَعْرِضَ على مفاتِنِها زواجاً
وأمنياتٍ جديرةً بالاهتمام ٥٠
ظن أنها ستقدِّمُ له مجداً زرِياً
دون أن تطمحَ هي الى مجدٍ أسمى وأرفع .
أنت تعرف أيَّ جهد وعَناء بذلها ليختبرَ فضيلتَها ؛
ولمَّا أُرهقَ حين ألفى نفسَه يحاربُ عبثا
ولمَّا كان غائباً وكان قلبُه مُفعماً بحبٍ جامحٍ على
الدوام ، ٥٥
فقد عَهد ليديكَ أمرَ رفعِ تاجِه إليها .
فاحكمْ على آلامي وعذابي ساعةَ أنهتْ إليَّ
اشاعاتٍ موثوقةً عن حبِّ الملك وغاياته ؛

---

١) أحبها .


GERMANIE
SCYTHIE
DACIE
PANNONIE
CHERSONÈSE TAURIQUE
Panticapée
Nymphée
CAUCASE
Phase
PONT-EUXIN
COLCHIDE
Danube
ARMÉNIE
ROYAUME DU PONT
THRACE
Bosphore
Byzance
MACÉDOINE
Cyrique
CAPPADOCE
Tigre
MER
ÉGÉE
Pergame
PHRYGIE
Dodone
Ninive
IONIE
ROYAUME DES PARTHES
Ephèse
Milet
Athènes
Stratanicée
Euphrate
Sparte
RHODES
CHYPRE
MÉDITERRANÉE
CRÈTE

بل ساعةَ عرفتُ أن مونيم المكرَّسة لفراشِه
قد سلكتْ معك طريقَ نانفيه[1] .　　　٦٠
واأسفاه ! حدث ذلك في الزمن البغيض الأرذل
يومَ أصغتْ أمي الى مغريات الرومان ،
فخانت أبي وسلمتهم
القلعةَ والكنوز التي أؤتمنتْ عليها
لتثأرَ من وفائها لذلك الزواج – الخدعة　　　٦٥
أو لتداري من أجلي حظوتَها لدى پومپيوس .
فكيف تراني أصبحتُ عند سماعي لخبر جريمة أمي !
إني لم أعُدْ أرى في أبي غريماً لي .
لقد نسيتُ حبي أمام ما لاقاه حُبُّ أبي من مصائب :
ولم يكن بارزاً لناظِريَّ غيرُ أبي المُهان .　　　٧٠
فهاجمتُ الرومان ، ورأتني أمي الضالة
أستعيد منهم تلك القلعةَ التي سلمتْهم إياها ،
معرِّضاً نفسي في قتالِهم لألفِ طعنة مميتة ،
ساعياً بهَلاكي إلى استنكارِ فعلتِها والتبرُّؤ منها .
وأصبحَتْ بلاد أوكسان حرةً منذُ ذلكَ الوقتِ
حتى يومِنا هذا ؛　　　٧٥

---

[1] وهي مدينة واقعة بين تيودوزيا وبونتيكابيه (أنظر الخارطة الإيضاحية) ووفقاً لما أورده المؤرخ ديون كاسيوس فان ميتريدات قد لاقى حتفه في بونتيكابيه هذه .

ومن ضفافِ پونت إلى ضفافِ البوسفور
اعترفَ الجميعُ بسلطةِ أبي ، ولم يعدْ لسفنِه الظافرةِ
من أعداء سوى الرياحِ وصَخَبِ المياه .
كنتُ أريدُ أن أضاعفَ عملي : كنتُ أطمحُ يا أربات
أن أتقدّمَ بنفسي نحوَ الفرات لنجدتِه . ٨٠
وفجأةً صعقتْني إشاعةُ موتِه .
وفي خِضمّ دموعي ، ولستُ بكاتم ذلك ،
عادتْ مونيم التي عهدَ بها أبي إليك ،
عادتْ إلى ذاكرتي بكلّ سحرِها وفُتونِها .
مـاذا أقول ؟ لقد كنتُ أرتعدُ في غمرةِ هذا الشقاءِ
خوفاً على حياتِها ؛ ٨٥

وأوجستُ خيفةً من الحبِّ المُدمِّرِ الذي يحملُه أبي :
أنت تعرفُ كم من مرةٍ بذلتْ عواطفُه الغيرى من جهد
لتتأكدَ من هَلاكِ عشيقاتِه .
فحثثتُ الخطى نحو نانفيه . وهناك تلاقتْ نظراتي
الحزينةُ ونظراتِ أخي عندَ أسوارِها . ٩٠
وأعترفُ أن تَطَـيّراً مشؤوماً قد اعتراني لحظتَئذٍ .
فاستقبلتَنا كلينا . وها أنتَ تعرفُ الباقي .
ان فرناس العنيفَ في مقاصده على الدوام
لم يُخفِ قط أمانيه الفخورةَ المزهوة ؛
فقد روى للملكة المصيبةَ التي حلّت بأبي ، ٩٥

وأكدَ لها موتَـه وعرَضَ نفسَـه مكانه .
وهو يريد يا أربات تنفيذَ ذلك كما يدعي .
وبعدُ ، فاني بدوري عازمٌ على إبداءِ رأيي بكل حزم .
فبقدْر ما احترمَ حبي سُلطةَ أبٍ
كنتُ مخلصاً له منذ الطفولة ، ١٠٠
بقدْرِ ما سيكون لهذا الحب المتمرد الآن
ان يتحدّى سلطةَ هذا الغريمِ الجديد .
فإما ان مونيم إياها ، المناهضة لحبي ،
ستستنكرُ الاعترافَ الذي أوَدُّ ان أبوحَ لها به
وإما فلن يستأثر بها أحد إلا بموتي ١٠٥
مهما تحلّ بي من خطوب وكوارث .
هاكَ كلّ الأسرار التي وددتُ ان أكاشِفَكَ بها :
ولك الآن ان تختارَ أيّ الفريقين تُحازب :
من منا نحن الاثنين يبدو لك أكثرَ جدارةً باخلاصك :
عبدُ الرومان أم ابنُ مليكِك ؟ ١١٠
لعلّ فرناس المتباهي بصداقتهم يعتقد
انه يأمرُ ويَنْهى في تانفيه ويخاطبني كسيّد مطلق .
ولكن نفوذي هنا لا يعترف بنفوذه ولا يُقرّه :
ألا إن پونت من قِسْمته وكولشوس من قِسمتي ؛
وليس بخافٍ على أحد أن كولشيد وأمراءَها ١١٥

كانوا دائماً وأبـــداً يُدخِلون هذا البوسفور في عِداد
مقاطعاتهم .

أربات : — مرني يا سيدي . فاذا كان لي بعضُ سلطة أو نفوذ
فإن اختياري قد وقع ، وسأقوم بواجبي .
سأنبري لخدمتك ضد الجميع بعد موت الملك
بنفسِ الجرأة وبنفس الاندفاع اللذين كنتُ ١٢٠
أخدم بهما أباك وأحمي هذه القلعةَ
من أخيك وحتى منك أنت .
ألا تراني مدركاً ان موتي كاد يكون مؤكـّداً على يد فرناس
لو انني دخلتُ الى هنا من دونك ؟
الا تراني مدركاً أن دمي حين تُهرقـُه يداه ١٢٥
كان يُلطخُ هذا السورَ الممتنع عليه ؟
فاطمئنّ الى قلبي والى اختيار الملكة .
أمّا الباقي ، فإمّا أن نفوذي ليس سوى ظل زائل ،
وإمّا أن فرناس سيتمتعُ في غير مكانٍ
بعطف الرومان تاركاً البوسفور بين يديك . ١٣٠

زيفاريس : — ليت شعري كم أدين لهذه الحمية البالغة !
ولكني اسمع وقع أقدام . فبادر[1] يا صديقي :
إنها مونيم بنفسها .

---

١) المبادرة تعني هنا الاسراع في قيام أربات بواجبه وتنفيذ ما وعـــد به زيفاريس قبل قليل .

المشهد الثاني

مونيم – زيفاريس

مونيم : – ها قد جئتُ إليكَ يا سيدي . فمن ذا يكونُ عوناً لي
إن أنتَ تخلّيتَ عني في هذه اللحظات ؟
لقد أصبحتُ منبوذةً وَجِلة ، لا أهلَ ولا أبَ
ولا أصدقاء ، ١٣٥
ملكة شكلاً، منذُ زمنٍ، غيرَ أني في الحقيقة أسيرة .
أيّمٌ[١] الآنَ ودونَ أن يكونَ لي زوجٌ في يومٍ من الأيام،
تلك هي يا سيدي أعذبُ مصائبي وأحلاها !
إنني أرتعد لمجرد تسميتي أمامك العدوَّ الذي يضطهدني؛
ومع ذلك فإني ألتمسُ من قلبٍ[٢] شهمٍ نبيلٍ ١٤٠
ألاّ يُضحّي أبداً بدموعِ الأشقياء
لمصلحةِ الدمِ الذي يربطُ بين الأشقاء[٣] .

---

١) أرملة . ٢) قلب زيفاريس .
٣) في الأصل : الذي يربط بينكما كليكما . أي بين الشقيقين ففضلنا القول : الذي يربط بين الأشقاء لفصاحة التعبير العربية . (المترجمان)

عليك أن تعرف من كلامي هذا من يكون فرناس .
إنه هوَ يا سيدي ، هو الذي ، بجرأتِه الآثمة ،
يريد ، والسلطةُ في يدِه ، أن يشدّني إلى مصيره ١٤٥
بزواجٍ هو عندي أفظعُ من الموتِ وأشدُّ هَولا .
تحت أيّ كوكبٍ نحسٍ تُراني وُلدتُ ؟
ما ان أتحرر وأذوق بعض راحة وسلام
حتى أجبرَ على الاستسلام لمن أكرهه أكثر من سواه
رازحة تحت نير زواج آخر لا يشدّني الحب اليه .
ولربما يتوجّب عليّ ، أنا الأكثرَ خضوعاً في خِضمّ شَقائي
أن أتذكّر – على الأقلّ – أني أُخاطِبُ أخاه .
ولكن مهما كان حقدي عليه عن حكمة أو عن قدر
غير مميِّز بينه وبين الرومان الذين يسعى الى كسب تأييدهم ،
فما من زواج تحقق تحت أسوإ الظروف ١٥٥
يوازي عذاب الزواج الذي أحاذره وأخشاه .
واذا ما كانت مونيم الباكية غير قادرة على ان تثير عواطفَك
واذا لم يبق لي غيرُ يأسي وحدَه
هناك أمام المذبح إياه حيث ينتظرونني
فانك ستراني يا سيدي ، لحظة أعود الى ذاتي، ١٦٠
أمزق هذا القلبَ التاعسَ الذي يريدون إخضاعه ،
والذي لم أستطع قط حتى الآن ان أتصرف به كما أشاء

زيفاريس : — كوني على ثقة من استجابتي يا سيدتي ؛
ان لكِ في هذه الديار كلَّ السلطةِ والنفوذ
ولفرناس — ان شاء ان يُرهَب جانبه — دياراً غير هذه
الديار . ١٦٥
ولكنكِ حتى الآن لا تدركين كلَّ مصائبك .

مونيم : — ليت شعري ! أية مصائبَ جديدة يمكنها ان تُحزن
مونيم يا سيدي ؟

زيفاريس : — اذا كان في حبك ارتكابٌ لجريمة كبرى ،
فان فرناس ليس هو اليومَ بالمجرم الوحيد ؛
فأنا أفوقه اجراما بآلاف المرات . ١٧٠

مونيم : — أنت !

زيفاريس : — اجعلي هذه المصيبة في عداد أكثر المصائب شؤماً ؛
وأشهدي — إذا لزم الأمر — القدرةَ السماوية
ضدَّ دمٍ شقي ما جرى في عروقنا إلا ليعذبك ،
دمِ أبٍ وولدين مدفوعين جميعاً لاضطهادك وإذلالك .
ولكن مهما يكن الألمُ الذي ينتابك ١٧٥
فإن هذا الحبَّ الأثيمَ الذي فاجأكِ الآن
لن تستطيع مصائبك أبداً أن تداني

الآلامَ التي احتملتُها يومَ أردتُ كتمانَه .
ومع ذلك لا تعتقدي أبداً أنني، إذ أكون ندّاً لفرناس،
أُسدي إليكِ اليومَ يداً حين أحتل مكانه . ١٨٠
تريدين أن تكوني لذاتك وحدها ، حسناً ، اني أُعاهدك على ذلك ،
ولن يكون أمركِ بعد الآن منوطاً به ولا بي .
ولكن هل تذكرين لي أيّ مكان اخترتِه
اذا ما أنلتكِ كلّ ما ترومين ؟
تُراه سيكون بعيداً عن مقاطعاتي أم قريباً منها يا سيدتي ؟ ١٨٥
وهل سيتاح لي أن أقودَ خطاكِ إليه ؟
وهل ستستوي في عينيك الجريمةُ والبراءة ؟
وهل ستتجنبين رؤيتي تجنُّبَكِ رؤيةَ غريمي ؟
وهل عليّ أن أعقدَ العزمَ على ألاّ أراكِ أبداً
جزاءَ ما أحسنتُ مؤازرتَكِ في تحقيق أمانيك؟ ١٩٠

مونيم : — آه ! ماذا أراكَ تُخبرني ؟

زيفاريس : — ماذا ؟ أيتها الحسناء مونيم ،
إذا كان بوُسعِ الزمن أن يمنحَ حقاً من الحقوقِ الشرعية
فهل لي أن أقولَ لكِ هنا إنني أولُ
من رآكِ وعقدَ النيةَ على أن يكونَ لكِ

يومَ كانت فتنتُكِ الطفلةُ والمجهولةُ لدى والدي ١٩٥
غيرَ ظاهرةٍ بعدُ إلاّ في عيني أُمّكِ[١] ؟
آه ! وإذا كان واجبي قد أرغمَني على تركِكِ
ولم يكن بمقدور حبي كله أن ينفجر أو يعبِّر عن نفسه،
أفلا تذكرين - من دون أن نسردَ كلّ ما جرى -
كم شكوتُ من هذا الواجبِ الثقيل ؟ ٢٠٠
أفلا تذكرين أيّ ألمٍ مُبرحٍ ألانَ وداعي ورققه
حين غادرتُ عينيكِ الجميلتين ؟
أما أنا فأذكرُ ذلك وحدي: فاعترفي به أنت يا سيدتي،
إنني أذكّرك بحلم امّحى من روحِكِ وزال ؛
ويومَ أُلْفَيتني بعيداً عنكِ ولا أملَ لي بالرجوع ٢٠٥
كنتُ ما زلتُ أُغذّي غراماً شقياً ،
ويومَ كنتِ مغتبطةً ومصممةً على الزواجِ من أبي
فإن كل مصائبِ الابن لم تكن لتقض مضجعك أو تضنيك.

مونيم : — واأسفاه !

زيفاريس : — أمَا رثيتِ لحظةً لآلامي وأشجاني ؟

مونيم : — أيها الأمير ... لا تحمّلني رَهَقاً على رَهَق . ٢١٠

١) ذاك أن مونيم قد نشأت وترعرعت في خدر أمها فلم يرها من الناس إلا القليل .

زيفاريس : — أحملكِ رهقاً ... يا للسماء ! حين أسارع للذود عنك ،
فلا أطلب منك شيئاً ولا أجسر على الطموح الى شيء ؛
وبعد ، ماذا أقول لك ؟ ساعةَ أعِدُكِ
بأن أجعلك لا ترينني أبداً !

مونيم : — انك بهذا تَعِدُني فوق ما تُطيق . ٢١٥

زيفاريس : — ماذا ! أوَ تعتقدين العكس بالرغم من وعودي ؟
أوَ تظنين انني حين أُفرِّط بسلطتي
أطمحُ الى النيل من حريتك ؟
أسمع وَقْعَ خطوات يا سيدتي ... أفصحي رُحماك :
كلمة واحدة . ٢٢٠

مونيم : — أنقذني من حب فرناس وَضَراوتِه .
لن تكون بحاجة الى سلطة غاشمة
حتى تحملَني يا سيدي على رؤيتك .

زيفاريس : — آه ! يا سيدتي ...[1]

مونيم : — سيدي ها هو أخوك .

---

١) هنا يصل العاشقان الى نقطة التلاقي الروحي ؛ ولولا مجيء فرناس لكانت مونيم العَفّةُ الخجولُ باحت لزيفاريس بما في قلبها من هوى دفين ..

المشهد الثالث

مونيم – فرناس – زيفاريس

فرناس : – حتى مَ تنتظرين أبي يا سيدتي ؟

إن شهودَ موته يأتون في كل لحظة ٢٢٥

ليُدينوا شكَّكِ وتأجيلَكِ .

تعالي وابتعدي عن رؤية هذه الديار القاسية

التي لا تتحدث الى عينيك إلاّ عن أسرٍ حزين .

إن شعباً أميناً ينتظرك ضارعاً إليك

تحت سماءٍ أكثر حناناً وأكثرَ جدارةً بك . ٢٣٠

ان پونت تعترف بك مليكةً لها منذ زمن بعيد :

وأنت ما زلت تحملين منها رمزَ السلطان وشعارَه ؛

وهذه العَصابة الملكيةُ التي ازدانَ بها جبينك

تَبرزُ ضمانةً أكيدة من مملكة پونت .

ولمّا كنتُ سيدَ هذه الدولة التي أورثنيها أبي ٢٣٥

فإليّ يعود يا سيدتي أمرُ الوفاء بوعده ،

وثقي بأنه لا بد لنا من المبادرة الى الرحيل

والى عقد الزفاف دون تباطؤ او تسويف .
إن مصالحنا المشتركة وقلبي يطلبون ذلك .
وها هي مراكبي المهيئة لاستقبالك تنتظرك وتستحث
خطاك ، ٢٤٠
وبوسعك أن تستقليها من على مشارف المذبح
لتنطلق بكِ سيدةً للبحار [بل عروسة من عرائسه].

مونيم : – سيدي إن ألطافك الفياضة تخجل تواضعي .
ولكن بما أن الوقتَ يدهمُنا وعليَّ أن أجيبَك ،
فهل لي ، حين أدعُ جانباً الرياءَ والتكتم ، ٢٤٥
أن أكشفَ لكَ هنا عن مشاعري الخفية ؟

فرناس : – تستطيعينَ أن تفعلي ما تشائين.

مونيم : – أظنني غيرَ خافيةٍ عليك .
إن « ايفيز » هي مسقطُ رأسي؛ على أنني أنحدرُ
من أجدادٍ أو أقيالٍ[1] أو أبطالٍ كانت شجاعتُهم[2]
فيما مضى تُنزّلُ لدى اليونان فوقَ منزلةِ الملوكِ
يا سيدي ؛ ٢٥٠
ورآني ميتريدات ، وكانت ايفيز وايونيه[3]

١) ملوك عظام .
2) Vertu.
٣) وايونية هذه هي التي أنجبت الفلاسفة الطبيعيين الثلاثة الكبار : طاليس وانكسمندر وانكسمنس .

متحدتين آنذاك بمملكته النامية الزاهرة[1] .
فتفضّلَ وأرسلَ إليّ هذه الضمانة لعهده[2]
فكانت لعائلتي قانوناً أقدسَ ساميا :
وكان عليّ أن أرضخ . وكأسيرة مُتوّجة ٢٥٥
رحلتُ إلى زواجٍ كان مقدّراً عليّ .
أما الملكُ الذي كان ينتظرُني وَسْطَ ممالكه ،
فقد وجدَ نفسَه تنأى بطامحه وخُطاه بعيداً ،
وأرسلَني إلى هذه الربوعِ النائيةِ عن خطرِ العاصفة ،
في حين كانتِ الحربُ تشغل قلبَه وتشغل حميّته. ٢٦٠
وأتيتُ إلى هذه الربوعِ وها أنا ما زلتُ فيها .
ولكن أبي – في تلك الأثناء – يا سيدي – دفع غالياً
ثمنَ ذلك الشرف الخطير؛ واقتاده[3] الرومان المنتصرون
ضحيةً أُولى من ضحاياهم .
وبسبب هذا اللقب المشؤوم ألقى نفسَه صريعاً. ٢٦٥
هذا ما أردتُ يا سيدي ان أحدثَكَ به .
فمهما تكن ثورتي الحقةُ التي تدفعني وتستفزني ،
فليس بمقدوري أبداً ان أُجابهَ روما بجيش؛
ولما كنتُ شاهدَ عيان هزيلاً لكل اعتداءاتها

---

1) Heureux.

٢) أي العَصابة الملكية .

٣) والد مونيم يدعى فيلوبومين .

فليس في حوزتي، للانتقام، لا صولجان ولا جنود ؛ ٢٧٠
وبعدُ فاني لا أملك سوى قلبٍ واحد. وكلُّ ما أستطيعه
هو ان أحتفظ بالوفاء[1] الذي أدين به لأبي ،
وألاّ ألطخَ يديّ بدمه
فأزَفّ اليك أنتَ حليفَ الرومان وربيبَهم .

فرناس : — لِمَ تتحدثين عن روما وعن حِلْفِها ؟ ٢٧٥
لِمَ كلُّ هذا الحديثِ وهذا الحذَر ؟
من قال لك إنني أريدُ ان أتخذهم حلفاء لي ؟

مونيم : — أنت نفسك يا سيدي ، أبإمكانك نُكران ذلك ؟
كيف تَعرضُ علي تاجاً وقُدُوما الى بلدٍ
تحيطُ به جيوشُهم من كلِّ جانب ٢٨٠
إذا كانتِ المعاهدةُ السريةُ التي تربطُكَ بالرومان
لا تضمنُ لكَ المملكةَ ولا مسالكَها ؟

فرناس : — بإمكاني أن أحيطَكِ علماً بنواياي ،
كما انني أعرفُ الأسبابَ التي عليَّ أن أقولَها لكِ
لو انكِ كشفتِ لي مشاعركِ الدفينةَ ٢٨٥
وأقلعتِ فعلاً عن ذلك التسترِ الزائف .

---

1) La foi.

ولكنني أخيراً بدأت، بعد مزيد من العوائق والمثبّطات،
أؤَلف بين معاذيركِ وتَعِلاتِكِ المختلفةِ يا سيدتي ؛
وأظنني ألمحُ الغايةَ التي تريدين إخفاءَها
وأن هنــاكَ إنساناً آخر غيرَ أبي يَدفعُكِ هنــا
إلى الكلام . ٢٩٠

زيفاريس : — مهما تكنِ الغايةُ التي تدفعُ الملكةَ إلى الكلام
فهل على جوابك أن يكون مشكوكاً فيه ؟
وهل على كرهِك للرومان
أن يتردّدَ لحظةً ليُفصِحَ عن نفسِه ؟
ماذا ؟ أفي حين نعلمُ بشقاءِ أبٍ ٢٩٥
نسارعُ إلى احتلالِ مكانِه ونتثّاقلُ عن الإنتقامِ له ،
ونضعُ شرفَنا ودمَه في سجلِّ النسيان ؟
لقد قضى نحبَه : فهل عَلِمْنا إذا كان قد ووري الثرى؟
من يدري أنه في الوقت الذي كانت فيه روحكِ الولهى
تكوّنُ فكرةً لذيذةً لزواجٍ عذبٍ جميل ، ٣٠٠
كان بإمكان هذا الملك الذي يزخرُ الشرقُ بمآثره
أن يسمي حقاً آخرَ خلفائه
في دوله بالذات محروماً من مَضجعه الأخير
أو راقداً بلا تكريم بين قتلى غرباء مجهولين
غيرَ شاكٍ السماءَ التي تدعه مُهاناً محقراً ٣٠٥

وولدين عاقين لا يجسران على الانتقام له ؟
آه ! لا نقبعنَّ في زاويةٍ من زوايا البوسفور .
فإذا كان في العالم قاطبةً ملكٌ ما يزالّ حراً ،
فالپارثيون أو السيتيون أو السرمات يتعشقون حريتَهم تعشقاً
وهؤلاء هم حلفاؤنا وأنصارنا : فلنسر في هذا الاتجاه . ٣١٠
ولنعش أو لنمت جديرَين بميتريدات ؛
وأحرى بنا أن نفكر – مهما يكن الحب الذي يعللنا –
في خلاصنا وخلاصِ دولَتنا من نير العبودية والعار[1]
من أن نرغم قلوباً لا تستكين ولا تلين .

فرناس : – إنه يعرف حقيقةَ مشاعرِك . فهل كنتُ أخدع نفسي
يا سيدتي ؟ ٣١٥
تلك هي المصلحة المسيطرة على كيانك سيطرة تامة .
وذلك هو الأب وهؤلاء هم الرومان الذين تعيّرينني بهم[2]

زيفاريس : – إنني أجهل مشاعرَ قلبِها الخفية ؛
غير اني سأركن إليها دون أن أطالبَ بشيء
اذا كنت أعتقد انني أفهمها[3] مثلك يا سيدي . ٣٢٠

---

١) في سياق هذا المقطع يذكرنا زيفاريس – أمام أخٍ غريم – بنيكوميد غريم أخيه أتال والمفضّل لدى لاوديس . وزيفاريس – هنا – يتبع سياسة أبيه الذي أراد أن يتحالف مع أرزاس ملك البارثيين . (المترجم)
٢) ان فرناس لا يُحسن – في هذا الرد الساخر – إخفاءَ حسده وحقده .
3) Si je croyais les entendre.

فرناس : — حسناً تفعل . أما أنا فسأفعل ما يجب علي :
وليس لِمثَـلِك الذي تضربه ان يكون قاعدة لي .

زيفاريس : — ومع هذا فاني لا أعرف أحداً في هذه الديار
يستطيع ألا يحتذي القدوةَ التي أعطيها .

فرناس : — بامكانك أن تُصرح بذلك في كولشوس . ٣٢٥

زيفاريس : — أستطيع ذلك في كولشوس كما أستطيعه هنا .

فرناس : — هنا ؟ انك تستطيع ان تلاقي هنا حتفَك ...

المشهد الرابع

مونيم — فرناس — زيفاريس — فوديم

فوديم : — أيها الأميران ان البحر باجمعه يمور بالسفن ،
وسيصل ميتريدات بالذات الى الميناء
داحضاً اشاعة موته الكاذبة . ٣٣٠

مونيم : — ميتريدات !

زيفاريس : — أبي[1] !

فرناس : — آه ! ماذا أسمع ؟

فوديم : — بعضُ زوارقَ سريعةٍ انطلقتْ نحوَنا تعلمُنا بذلك[2] .
إنه هو بالذات : ولما كان أربات بعيداً عن الشاطىء
فقد سارعَ إلى مُلاقاتِه يدفعُه واجبُه .

زيفاريس : — ماذا فعلنا[3] ؟ ٣٣٥

مونيم : — (مخاطبة زيفاريس) الوَداع أيها الأمير . يا له من خبر !

---

١) ان هذين المتافين يُظهران مشاعر بطلينا . فمونيم تفكر بسيدها ومولاها ميتريدات وزيفاريس يفكر ـ قبل كل شيء ـ بأبيه ثم بالسلطة الأبوية التي أساء ـ لاشعورياً ـ اليها .
٢) في النص « جاءت » بدل انطلقت نحونا ولكن انطلقت نحونا أصح في الأسلوب العربي.
٣) ان هذا القول لزيفـــاريس وجواب مونيم يشيران الى أن كلا منهما قد فهم الآخر بتلميح ملغوز دون ما حاجة الى تصريح . (المترجمان) .

المشهد الخامس

فرناس – زيفاريس

فرناس : – ميتريدات يعود ! آه ! يا للحظ العاثر ويا للقدر القاسي !
إن حياتي وحبي كليهما أصبحا في خطرٍ دائم .
فالرومان الذين أنتظرُهم سيصلون بعدَ فواتِ الأوان[1]
(مخاطباً زيفاريس)
ما العمل ؟ لقد أصغيتُ إلى قلبِـكَ يصعِّدُ الزفرات ،
وفهمتُ الوداعَ الذي قالته لكَ أيها الأمير ؛ ٣٤٠
بيدَ أن هذا الحديثَ يتطلبُ وقتاً غيرَ هذا الوقت :
فلدينا اليومَ مشاغلُ أكثرُ أهميةً وإلحاحا .
إن ميتريدات يعودُ مجرَّداً من كلِّ رحمةٍ أو شفقة ،
وهو كلما ازدادَ شقاءً ازدادَ هولاً ورعباً .
الخطرُ يَدهمُنا بأشدَّ مما تظن . ٣٤٥
نحن مجرمان ، وأنت تعرف ذلك .

---

١) يكشف فرناس – هنا – بوضوح عن مراميه ويمهد لخيانته في الفصل الرابع .

أما هو فقلـّما غلبتْ عاطفتُه غضَبَه ؛
وما لابنائه أبداً من قاضٍ أشدّ عنفاً أو ضراوة ،
حتى اننا رأيناه ، في غمرة شكوكه القاسية
يضحي بولدين[1] من أبنائه عند أوهى الأسباب . ٣٥٠
فلنرهب جانبَه ، من أجلك ، من أجـــلي ، من أجل
الملكة نفسها :

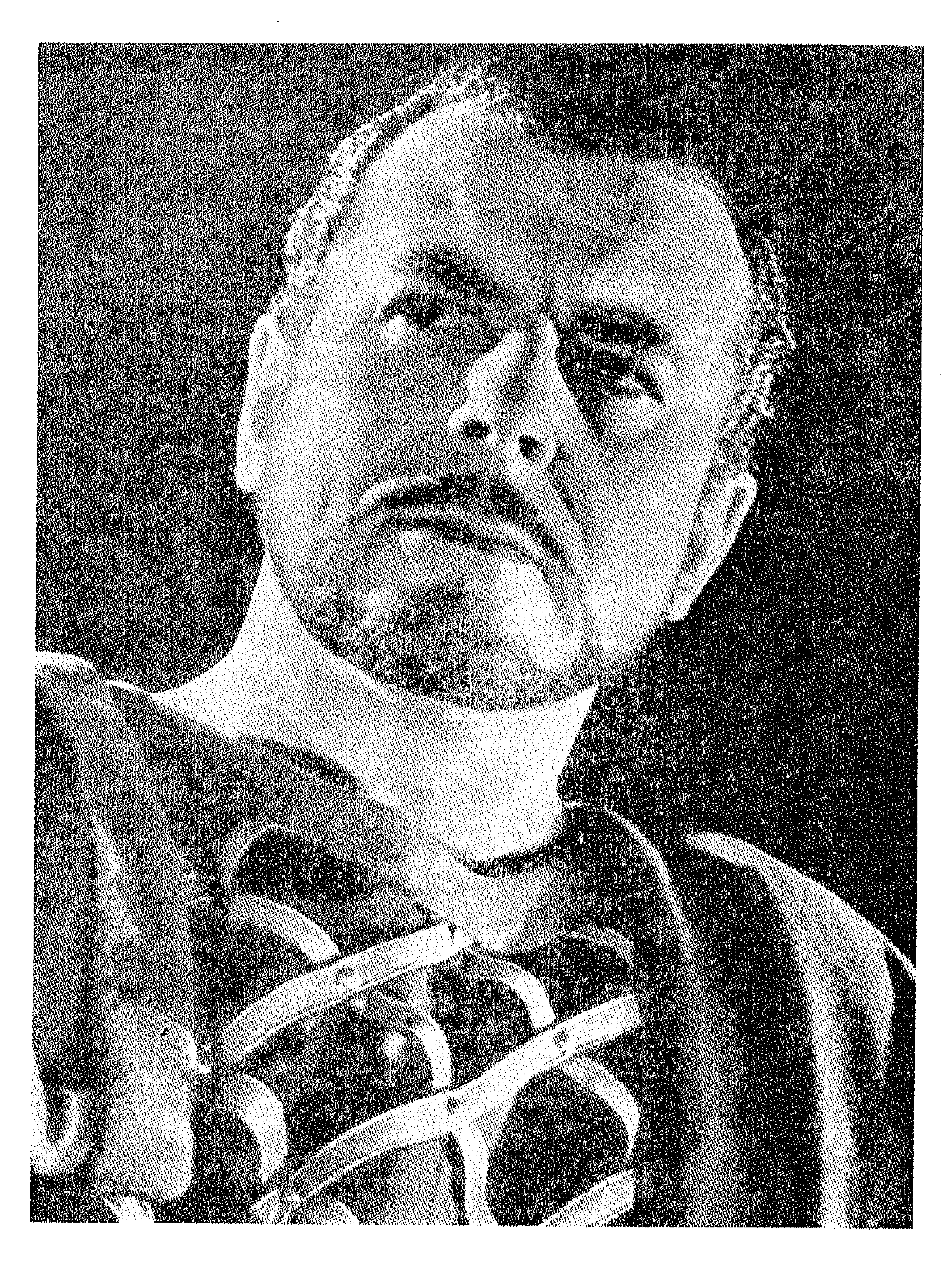
اني أرثي لمونيم بقدَر ما يحبها ميتريدات .
إنه عاشق متيم ولكنه دائم الغيرة أبديُّها ،
وحقدُه يتجاوز دائماً حبَّه في تماديه .
فلا تطمئنّ الى المحبة التي يكنها لك : ٣٥٥
اذ لن يكون هياجُه الغيور إلا أقوى من تلك المحبة
وأطغى ؛

فكر في الأمر ملياً . إنك لتتمتع بتأييد الجند ؛
أما أنا فسيكون لي من العون والمؤازرة ما لا أكشفه
لك [الآن]

فهلاّ صدقتني ؟ لنبادرْ ، لنتأكدْ من سلامتنا :
لنكن — أنتَ وأنا — سيدين على هذه القلعة . ٣٦٠

---

١) هذان الولدان هما آريارات وميتريدات الصغير . تذكرنا هذه الحادثة باشباه لهـــا ونظائر في كل مكان وزمان . فهذا عبّـــاد ملك اشبيلية أيام ملوك الطوائف في الأندلس يفتك باحد أبنائه ويعلق رأسه في باحة قصره . (المترجمان)



فرناس : ان حياتي وحبي كليهما أصبحا في خطر داهم .
فالرومان الذين أنتظرهم سيصلون بعد فوات الأوان .

لنعمل على الا ّ يُملي علينا
إلا ّ الشروطَ التي نريد قبولها .

زيفاريس : — أنا أعلم ما هي جريمتي ، وأعلم من هو أبي ؛
ولي ، زيادةً عليك ، جريمةُ أمي ؛
ولكن مهما يكن الحب الذي أستطاع أن يَبهرَني ٣٦٥
فلن أملك إلا الرضوخ لأبي لحظةَ ظهورِه .

فرناس : — لنكن اذن وفيين لبعضنا على الأقل :
انك لتعرف سري واني لسابرٌ غورَ سرّك .
فالملِك الغني دائماً بالدسائس الخطرة الرهيبة
سيتسَلّحُ ضدّنا بأضعف أحاديثنا وأوهاها . ٣٧٠
أنت تدري دَيْدَنه وتحت أي ستار من العواطف
يعرف حقدُه كيف يخفي مكرَه الخادع[1] .
هيا بنا ، سأقتفي خُطاك طالما ان الأمر يقضي بذلك .
على ألا ّ يخون بعضُنا بعضاً ما دمنا وفيين .

1) Ses trompeuses adresses.

الفصلُ الثاني

المشهدُ الأول

مونيم – فوديم

فوديم : – عجباً ! أنتِ هنا ساعةَ يصلُ ميتريدات ؟ ٣٧٥
ساعةَ يهرعُ الجميعُ لاستقبالِه ؟
ماذا تفعلين يا سيدتي ؟ وأيُّ ذكرى
تقفُ بكِ فجأةً وتجعلُكِ تنكُصين[١] ؟
ألستِ تُهيئين بهذا ملكاً يعبدُكِ ويفتديك ،
ملكاً يوشكُ أن يصبحَ لكِ بعلاً ؟... ٣٨٠

مونيم : – إنه لم يصبحْ كذلك بعدُ يا فوديم ؛
وحق الساعةَ أرى أن واجبي
هو في انتظارِه هنا دونَ الذهابِ لاستقبالِه .

فوديم : – ولكنه ليس خطيباً عادياً يا سيدتي .

---

١) تعودين على أعقابك .

فكّري أن أباكِ حينَ وعدَكِ بهذا الملكِ العظيم
قد منحَكِ عهداً جليلاً لحبّه وإيثاره[1] ، ٣٨٥
عهداً يستطيع ساعة يشاء أن يؤكده [هناك] في المعبد
صدّقيني واظهَري للملأ ، واسعَيْ إلى ملاقاته .

مونيم : — أنظري في أية حالة تُريدينني ان أظهر ؛
أنظري الى هذا المحيا الباكي ؛ وبدلَ ان أسعى اليه
أحرى بك ان تقولي لي : تواري واختفي . ٣٩٠

فوديم : — ماذا تقولين ؟ يا للآلهة !

مونيم : — آه ، يا لها من عودة تفتك بي وتُرديني !
أيتها الشقية ! كيف سأبدو أمامه
وتاجه على جبيني وفي أعماق الفؤاد يا فوديم . . .
لقد فهمتِني وها أنتِ ترين احمرار وجهي .

فوديم : — أهكذا تعودين فتقعين في المخاوف نفسها ٣٩٥
التي انتزعتْ منك كثيراً من الدموع في اليونان ؟
ويعودُ اليك زيفاريس ليفتديك على الدوام ؟

مونيم : — ان شقائي لأكبرُ مما يمكنك ان تتصوري .
فزيفاريس لم يكن يلوح لي يومذاك

---

١) أي العَصابة الملكية التي أرسلها ميتريدات الى مونيم (أنظر البيت ٢٣٣) .

إلاّ مليئاً بالفضائل ، وإلاّ متألقاً بالأمجاد ؛ ٤٠٠
ولم أكن لأدري ان زيفاريس المتيمَ بحبي
كان أكثرَ خلق الله غراماً وهياماً .

فوديم : — يحبك يا سيدتي ؟ هذا البطل المحبوب . . .

مونيم : — شقيّ[1] بقدَر ما أنا تاعسة .
انه يعبدني يا فوديم ؛ فالآلامُ نفسُها ٤٠٥
التي كانت تؤرقني هنا كانت تعذبه هناك .

فوديم : — هل تُراه يدري مدى حبّكِ له ،
أم هل تُراه يعرفُ أنك تحبينه ؟

مونيم : — إنه يجهلُ ذلك يا فوديم .
لقد أنقذَتْني الآلهة ؛ ولم ينطقْ قلبي الواثقُ بشيء
أو أنه على الأقلّ نطقَ تلميحاً بما يَكُنُّ[2] . ٤١٠
واحسرتاه ! لو كنت تعلمين كم عانى هذا القلبُ الحزينُ
من كبتٍ وحرمانٍ ليعتصمَ بالصمت !

---

١) نأخذ الكلمة « شقي » على انها تتمة لجملة « هذا البطل المحبوب » فتصبح خبراً لها .
٢) كانت مونيم قد اكتفت بالتلميح لزيفاريس بأنها ستكون سعيدة بأن تراه ؛ (أنظر البيت ٢٢١) تلميحاً يؤكد موقفها الطارىء الذي يتفق وعاطفة الحب عندها وينسجم مع شعورها بالواجب .

أيُّ هجومٍ بل أيُّ صراعٍ قاومتُه منذ قليل !
إي فوديم ، لو استطعتُ لما رأيتُه أبداً .
ورغمَ كلِّ الجهودِ التي أحتملُ بذلَـها ٤١٥
فلسوفَ أشهدُ آلامَه ، ولن أقوى على السكوت .
سيأتي رغماً عني لينتزعَ مني هذا الاعتراف .
ما همّ ، ما دامَ سيستمتعُ به ولو إلى حين لو كان يهواني
سأبيعُه غالياً هذه السعادةَ التي يجهلُـها ،
وحريٌّ به أن يجهلَـها كذلك . ٤٢٠

فوديم : — أسمعُ وَقْـعَ أقدام . فعلامَ قر رأيكِ يا سيدتي ؟

مونيم : لا أستطيع . إنني لن أظهرَ أمامه وأنا في مثل هذا الاضطراب .

المشهد الثاني

ميتريدات - فرناس - زيفاريمس - اربات - حرس

ميتريدات : — مهما تكنِ الدوافعُ التي تستطيعان أنْ تقولاها لي أيها الأميران

فإن واجبَكما ما كان له قط أن يقودكما الى هنا ،

ولا ان يدعَكما تغادران في ظروفٍ جدّ عصيبة ٤٢٥

أنت[١] پونت، وأنت[٢] كولشوس اللتين عُهد بهما إليكما.

غير أن لكما قاضياً هو أبٌ يُؤْثِركما بحبّه .

لقد صدّقتما اشاعاتٍ كنتُ قد بثثتُها بنفسي ؛

إنني أؤمنُ ببراءتكما طالما أنكما تريدان ذلك[٣] ،

وأشكرُ السماءَ التي جمعتْ شملَنا . ٤٣٠

وها أنا ، منهزماً ومشرفاً على الهلاك[٤] ،

أفكرُ في خطةٍ جديرةٍ بشجاعتي وبأسي .

سأحيطُكما علماً بها عما قريب وبصورةٍ أكمل .

إذهبا [الآن] ودَعاني أستريحُ قليلاً .

---

١) مخاطباً فرناس . ٢) مخاطباً زيفاريس . ٣) هذا التحديد يعني أشياء كثيرة عن طبع ميتريدات ونواياه .

4) Voisin du naufrage.

المشهد الثالث

ميتريدات - أرباب

ميتريدات : — وبعدُ ، فها أنت تراني يا أرباب بعد غياب سنة ٤٣٥
لا كميتريدات السعيد أبداً ، ذاك الذي كان فيما مضى
يتلاعبُ على الدوام بمقدّراتِ روما ،
جاعلاً مصيرَ الكون بأسره يتراوح بينها وبينه :
لا ، لقد هُزمت . ان پومبيوس قد أفاد
من ليلة ليلاء لم تدع فيها مجالاً لشجاعة الشجعان. ٤٤٠
كان جنودي نصفَ عراة يلوذون بالظلام خائفين ،
والصفوف من كل جانب لا منظمةٌ ولا محروسة ،
والفوضى تضاعف الأخطارَ في كل مكان ،
نحن أنفسَنا رُحنا نصوِّبُ سلاحَنا الى صدورنا ،
وزمجرةُ الاصوات تعكسُها الصخورُ أشدَّ هــولاً
ورهبة . ٤٤٥
وأخيراً ، تلك كانت فظاعةُ معركةٍ دارت في الظلام
الدامس :

فماذا بإمكان الشجاعة أن تفعل في تلك الفوضى المشؤومة ؟
منهم من قضى نحبه ، أما الباقي فقد أنقذَه الهرب ؛
ولست مَديناً بحياتي ، في خضم ذلك الفزع العام ،
إلاّ لاشاعة موتي التي خلّفتُها ورائي . ٤٥٠
وبعد فترةٍ من الزمن قطعتُ نهرَ الفاز[1] ،
ومن هناك تَوَغّلْتُ حتى انتهيتُ الى القوقاز ؛
ثم جمّعت فلولَ جيشي المشتت
على سفن كانت مُعَدّة في ميناء أوكسان .
فتأملْ أيةَ مصائبَ دفعتْ بي الى البوسفور ، ٤٥٥
وهنــاك وقعْتُ في مثيلاتٍ لها كانت هي الأخرى
بانتظاري .
وها أنت تراني يؤجج قلبي على الدوام ضرامُ حبي إياه :
فهذا الخافقُ المتَغذّي بالدماء المتعطش للحروب
يحْمل معه في كل مكان ذلك الحبّ الذي يَرْبطه بمونيم ،
رغم وَقرِ[2] السنين والقَدَر المرْهِقِ الجائر ، ٤٦٠
وليس له قط من أعداء ألداء
سوى ولدين عاقّين أجدهما ها هنا .

أربات : — ولدين يا مولاي ؟

---

١) وهو اليوم نهر Le Rion الذي ينبع من القوقاز ويصب في البحر الأسود .
2) Faix.

ميتريدات : — أصغِ اليَّ : اني أريد ان أُمَيز
في غمرةِ غضبي بين زيفاريس وأخيه .
أنا أعرف انه ، وهو المستجيبُ دائماً لأوامري، ٤٦٥
يكره مثلي أعداءَنا المشتركين[1] ؛
ولقد شهدتُه في صَوْلاته حريصاً على رضاي
مُبرراً لي بها محبتي المكنونة[2] .
حتى أنني أعرفُ بأيّ يأسٍ
سارعَ ليستنكرَ فعلةَ أمه الخائنة ، ٤٧٠
وليتخذَ من جريمتِها سُلّماً لمجدٍ جديدٍ
مقدّماً واجبَه على كلّ مصلحةٍ أخرى ؛
فلستُ بقادرٍ لا ولا بجاسرٍ على التفكيرِ
في أن هذا الابنَ الجمّ الوفاءِ أرادَ يوماً أن يُسيء إلي.
ولكن ماذا يمكن لكليهما أن ينتظر في هذه الديار؟ ٤٧٥
ليت شعري هل تجرّأ كلٌ منهما على أن يستأثرَ بالملكة؟
ومع أيهما تبدو أكثرَ اتفاقاً وانسجاماً في سرّها ؟
أنا نفسي بأي عين سأراها هنا ؟
تكلم . ومهما تكنِ الرغبةُ التي تجذبُني إليها ،
فلا بدّ لكَ أن تقدّمَ لي بياناً صادقاً عن حبِّها. ٤٨٠
ماذا حدث؟ ماذا رأيتَ؟ ماذا تعرف ؟

---

١) أي الرومانيين .
٢) لاحظ كيف ان ميتريدات بمكره لا يكشف أبداً عن مشاعره وعواطفه .

منذُ متى ، كيف؟ كيف استسلمتَ[1] ؟

اربات : — مولاي ، منذُ ثمانيةِ أيامٍ كان فرناس العَجولُ
أولَ من استبقَ هذه القلعة ؛
وإذ سمحَ بإشاعةِ نبإ موتِك ٤٨٥
فقد أرادَ أن يدخلَ لتوّه بين هذه الأسوار .
أما أنا فما كنتُ لأقفَ عندَ مثلِ هذا النبإ المُريب
وما كنتُ لأصغي الى شيء لو ان أخاه الأمير[2]
لم يؤكد لي وقوع مصائبِك عند وصوله
بدموعه أكثر بكثير من حديثه يا مولاي . ٤٩٠

ميتريدات : — وأخيراً ماذا فعلا[3] ؟

اربات : — ما إن دخل فرناس
حتى سارع يكشف قلبه الملكة ،
عارضاً نفسه ليُثبّتَ[4] بزواج وشيك ،
العَصابةَ التي تلقتها من يدك .

---

١) أي كيف فتحتَ للأخوين أبواب نانفيه ؟ تأمل هـــذه الأسئلة المتتابعة الملحة كيف تُظهر بوضوحٍ جَزَعَ ميتريدات وقلقَه الروحي .
٢) أي زيفاريس .
٣) هنا يتجلى نفاد صبر ميتريدات لكون أربات لم يلفظ اسم مونيم بعد .
٤) أي ليثبتَ العصابة الملكية على جبينها .

ميتريدات : — يا للخائن ! ودون أن يَدَع لهـا فرصةَ ذرفِ
الدموع ٤٩٥
التي يتوجبُ على حبها ان يهرقَها فوق رفاتي[١] !
وأخوه ؟

أربات : — ان أخاه يا مولاي — وحتى الساعةَ على الأقل —
لم يَسِم مَراميه بسيمياء الحبِّ وآياتِ الغرام ؛
وان قلبَه ، حليفَ قلبك دائماً ،
لم يَبْدُ عليه أنه يَتوق[2] الى غير الحرب والانتقام. ٥٠٠

ميتريدات : — ولكن أية غاية قادته – من ثم — الى هنا ؟

أربات : — مولاي ستطّلع على كل شيء عاجلاً أم آجلاً .

ميتريدات : — تكلم ، أني آمرك ، أريد أن أطّلع الآن على كل شيء.

أربات : — مولاي ، إن هذا الأمير[٣] — حسب ما علمتُه حتى هذا النهار —
قد خُيِّلَ إليه أن بإمكانه ضمّ هذه المقاطعة ٥٠٥
إلى مقاطعاته بعدَ موتك ؛
ولقد جاء يُدعِّمُ إرثه بالقوة

١) لاحظ السخرية في هذا البيت التي يراها البعض هازلة ونحن نراهـا شاحبةً مُرة ، خاصة وهي تصدر عن ملك عجوز منهزم .
2) Respirer.
٣) أي فرناس .

دون أن يعرفَ هنا شريعةً غير شريعةِ بأسِه .

ميتريدات : — آه ! إن هذا أقلُّ ما يطمح إليه
لو ان السماءَ تركتني أتصرفُ بمصيري كما أشاء . ٥١٠
أجلْ إنني لمغتبط[1] يا أربات ، وان فرحتي لبالغة ،
كنت أرتجفُ — أُقِر بذلك — من أجل وَلدِ أوثره[2]،
ومن أجلي أنا الذي كنتُ أخشى أن أفقدَ عوناً كهذا
العون[3] ،

وأن أُقاومَ منافساً مثله[4] .
أما أن يسيء إليَّ فرناس فذلك يمنح غَضبي ٥١٥
غريماً يحرصُ منذ زمن بعيدٍ على إغاظتي ،
وَيَكنُّ للرومان على الدوام إعجاباً خفياً ؛
ولم يُعلن يوماً عداءَه لهم إلاّ آسفا .
واذا كان على مونيم الميالةِ اليه
ان تحمل لغيري حباً تدين به اليَّ ، ٥٢٠
فالويل للمجرم الذي يُقدِم على حرماني منها ،

---

1) Je me sens à l'aise.

٢) يرتجف كآب .   ٣) يطلب العون كملك .

٤) يقاوم كعاشق (ومنافسه ابنه فرناس) .

والذي يَجْسر على الإساءة إلي، ولا يَجْسر على طاعتي !
هل تُراه يحبها ؟

أربات : — انني أرى الملكةَ قادمةً يا مولاي[1] .

ميتريدات : — أيتها الآلهة التي ترى — ها هنا — حبي وحقدي ،
هوِّني عليَّ مصائبي وتفضلي وحولي ٥٢٥
بيني وبين أولئك الذين أجِدُ في طلبهم .
كفى يا أربات : دَعني معها .

---

١) لا بد أن أربات - وقد أحرجه ميتريدات بسؤاله الأخير - قد وجد نفسه سعيداً بدخول الملكة التي وفرت عليه حَرَج الجواب .

المشهد الرابع

ميتريدت — مونيم

ميتريدات : — وأخيراً ها إن السماء تدعوني إليكِ يا سيدتي ،
وها هي، إذ تسعفُ — في الأقل — أمانيَّ البالغة العذوبة،
تعيدُكِ الى قلبي أكثرَ فتنةً وجمالاً من أي وقت مضى ٥٣٠
ما كنتُ أنتظر لزواجنا أن أراه
يَحدث في نهار جاءَ متأخرا ؛
لا ولا أجدُ عودتي المشؤومةَ، إذ ألقاك ثانيةً —
تُريني شقائي وتعاستي لا حبي وهنائي .
ومع ذلك فان هذا الحب اياه لم يَدَع لي ٥٣٥
بعد طول احتجاب ان أختار الا الديار التي أنتِ فيها؛
فبإمكان أعظم النكبات أن تنقلب في عيني عذبة
لو ان وجودي هنا لم يكن بالنسبة إليك سوى احداها.
إني بذلك أعني الكثير لو شئت أن تسمعيني .
كان عليكِ أن ترقبي هذا اليوم[1] منذ زمن بعيد ؛ ٥٤٠

---

١) يوم الزفاف .

فأنت تحملين يا سيدتي عهداً[1] لوفائي وحبي ،
عهداً يحدثك في كل حين أنكِ لي وحدي .
هيا بنا — إذن — نؤكد هذا الوفاء المتبادَل .
إن مجدي يدعوني وإياك بعيداً من هنا ؛
ودون أن نفرط بلحظة واحدة من أجل هذا الهدف
النبيل ٥٤٥
أنا اليوم زوجٌ لك ، وفي الغَـداة الرحيل .

مونيم : — مولاي ، إنك قادرٌ على كل شيء . وهؤلاء الذين
تنسمتُ منهم الحياة[2] قد عهدوا إليك بسلطتهم المطلقة
عليّ ؛
وحين تُطلقُ يديك في هذا الحق الكامل
فإنني لن أجيبك إلا بالامتثال لك[3] . ٥٥٠

ميتريدات : — وهكذا فأنتِ ، اذ تكونين مستعدةً لتحمل نيرٍ
يضطهدك ،
أراك لا تسيرين الى المعبد[4] إلا كضحية [عمياء] .

---

١) وهذا العهد هو عبارة عن تلك العصابة الملكية التي تزين بها جبينها .
٢) تعني أهلَـها .
٣) لاحظ كيف ان مونيم لا تتحدث الى ميتريدات إلا كخاضعة مستسلمة لا كخطيبة عاشقة . وميتريدات يضايقه ذلك ؛ وهذا ما جعله يتحدث عن «النير» باستمرار .
٤) حيث تقام حفلة الزفاف وتقدم القرابين .

أما أنا ، المستبدُّ بقلب يَرفض الاستجابة الى قلبي ،
فإني لن أكون مَدينا لك بشيء ولو ملكتُك .
آه يا سيدتي ! أفي هذا ما يرضيني ويُهنيني ؟ ٥٥٥
أعليَّ بعد الآن ، حين أنأى عن نيل رضاك ،
ألاَّ أطلبَ شيئاً أبداً غيرَ ارهاقك والتنكيل بك ؟
وبعدُ ، هل كان لمصائبي أن تجعلني حقيراً في عينيك[1] ؟
آه ! إنني حين لا أرى أمامي دروباً سالكة
لكي أحاولَ رغم كل شيء أحراز انتصارات جديدة، ٥٦٠
وحين يلقي بي القدر الغاشمُ من حالق[2]
منهزماً مدحوراً ومضطهَداً بلا معين ولا ممالك ولا صولجان ،
تائهاً من بحار الى بحار ، قرصاناً أكثرَ مني ملكاً ذا شأن ،
غير محتفظ من بين كل ما أملك إلا باسم ميتريدات :
أريدك أن تعلمي ، وقد لازمني لقب مجيد ولا يزال ٥٦٥
انني سأجعل أنظار العالم تنصبُّ عليَّ في كل مكان ؛
وانه ما من ملوكٍ ، لو كانوا حقاً ملوكاً ،
لا يَحسدون ، وهم المتربعون على عروشهم ،
هلاكاً هو أعلى وأسمى من أمجادهم كلها ،
هلاكاً لا تكاد روما نفسُها وأربعون عاماً[3] تقضيان
عليه . ٥٧٠

---

١) يوهم ميتريدات نفسه ـ هنا ـ حين يعزو فتورَ مونيم نحوه الى هزائمه في الحروب .
٢) من أعلى القمم . ٣) من الجهاد والأمجاد .

أنت نفسُك يا سيدتي أما كنت تنظرين إليّ بغير هذه النظرة

لو ان هؤلاء اليونان، أجدادَك، بُعِثوا فيك[1] من جديد؟
ولما كان لي بالضرورة شرفُ الزواج منك ،
أوَلا يكون أكثرَ نبلاً وأكثر لياقةً بك
أن تضيفي الى هذا الواجب قبولك وتأييدك ، ٥٧٥
وان تجابهي بتقديرك لي القدرَ الذي يُزري بي ،
وان تُسَرّي عني حين تهدهدين آلامي
حيالَ الشك الملازم للشقاء[2] ؟
ماذا ؟ أمّا من جوابٍ يا سيدتي ؟
أوَ ليس لكلّ توسُّلاتي وحبّي إلاّ أن تخجلَكِ
وتُربكَكِ ؟ ٥٨٠

إنكِ تَلوذين بالصمتِ المطبِق ، وبَدَلَ أن تكلميني ،
أرى دموعَك ، رغمَ محاولاتِك[3]، توشكُ أن تسيل .

مونيم ٤ — أنا يا مولاي ؟ ليس لي دموعٌ لأذرفَها .

---

١) تلميح بارع لميتريدات، فهو يريد أن يقول لهـا : أما كنت تنظرين إليّ باعجاب لو أنكِ (مثل أجدادك اليونان) رأيت أن هزيمةً نبيلةً كهزيمتي تساوي في الواقع نصراً مبيناً ؟
٢) شكّه في حقيقة عواطفها وخوفه من انصرافها عنه الى أحد ولديه . ومن هنـا شقاؤه الملازم لشكه .
3) Soins.

سأرضخ . ألا يكفي هذا لتَفهمَني ؟
أوَ لا يكفي ... ٥٨٥

ميتريدات : — لا ليس هذا كافياً .
إنني أفهمُكِ الآنَ أكثرَ مما تتصورين ؛
أرى أنهم ذكروا لي الحقيقة . فغَيرتي الصادقةُ
قد ظهرَ لها الأمر جليّاً عَبْرَ حديثِك .
كما أرى أن ولداً خائناً[1]، وقد سحرَه جمالُك ،
قد بَثَّكِ أحاديثَ الصبابةِ واستجبتِ إليه . ٥٩٠
فلأوقِعَنَّكِ في مَخاوفَ جديدةٍ من أجلِه ،
ولن يكونَ لكِ أن تستَمْتِعي كثيراً بدُموعِكِ
الخائنةِ يا سيدتي[2] ؛
لقد أصبح الجميع الآن يُصِمون آذانهم عن نداء أوامري ،
هذا وإلاّ فتكونين قد رأيته للمرة الأخيرة .
اليّ بزيفاريس . ٥٩٥

مونيم : — ويلاه ! ماذا أنت فاعل[3] ؟
إن زيفاريس ...

---

١) ان ميتريدات يعني ولده فرناس بيد أن مونيم تظنه يعني زيفاريس فتضطرب لذلك.
٢) الدموع التي تبرهن على خيانتك لي .
٣) ان مجرد تلفّظ ميتريدات باسم زيفاريس يرعد فرائص مونيم . قارن بين هذا القول وبين ما ورد في المشهد الثامن من الفصل الخامس من مسرحية بريتانيكوس (المترجمة في هذه السلسلة) حين استدعى نيرون حرسه للقبض على بريتانيكوس وصراخ « جيني » : « ماذا أنت فاعل » ؟ (المترجمان)

ميتريدات : – إن زيفاريس لم يخن قط أباه ؛
وانك لتتعجلين عبثاً اتهامَه ،
وليس بمقدور عاطفتي الرقيقة[1] الا ّ أن تـُثني عليه .
فإذا كان هذا الابن الجدير بحبك[2] فعلاً ،
قد استطاع أن يرغمك على ان تمنحيه بعضَ الحب ٦٠٠
فإن خجلي يتضاءل حياله ، كذلك جريمتك .
أمَّا ألا ّ يتجاسر الخائن إلا ّ على اساءتي ،
فهل يكون فرناس الذي لا يمتاز بأية جرأة
قد استطاع أن يحتل مكاني ؟
وان يصبح هو حبيباً يا سيدتي وأُصبح أنا بغيضا ؟ ٦٠٥

---

1) Amitié. 2) Estime.

المشهد الخامس

ميتريدات – مونيم – زيفاريس

ميتريدات : — تعالَ يا بنيّ ، تعال . لقد خانوا أباك[1] .
إن ابناً جسوراً يَنعى عليّ خرابي ،
ويحاربُ خُططي ، ويُسيءُ إليّ لا بل يَقضي عليّ
ثم إنه يَهوى الملكةَ ويروقُ في عينيها ، ويسلبُني
قلباً من واجبه ألاّ يخضعَ إلاّ لي وحدي . ٦١٠
ومع ذلك فأنا سعيد ، سعيدٌ لأنني في خضمّ هذا الشقاء
لا أستطيعُ ان أتهمَ يداً غيرَ يدِ فرناس ،
وغيرَ أمٍّ خائنةٍ وأخٍ جسور
يقدّمان لكَ عَبَثاً قدوتَهما السيئة !
أجل يا بني . أنت وحدكَ الذي أعوّل عليه ، ٦١٥
أنت وحدكَ الذي يُعِدّه قلبي للأمورِ الجِسام
اصطفَيتُه منذُ زمنٍ بعيدٍ رفيقاً لي ونِدا ،

---

١) بإمكان زيفاريس أن يخيّل اليه أنه هو المقصود بالخيانة .

ووارثاً لصَوْلجاني وعلى الأخصّ اسمي وشهرتي .
إن فرناس ، في هذه اللحظة ، وحبي المُهان
لا يستطيعان – كلاهما – أن يشغلا بالي . ٦٢٠
فالاحتراسُ والتهيّؤ لرحلةٍ عظيمة
ومَراكبي التي عليَّ ان أُعِدَّها لتكونَ جاهزةً للرحيل
وجُنودي الذين أُريدُ ان أمتحنَ طاعتهم وإخلاصهم[1]
كلُّ هؤلاء يستدعون حضوري في هذه اللحظة بالذات.
أمّا أنت فاسهرْ هنا على راحتي ، ٦٢٥
وضعْ حدّاً لمؤامراتِ منافسٍ وقِح .
لا تتركِ الملكة أبداً، واجعلْها بنفسكَ، إن استطعتَ،
أقلَّ معارَضةً لأماني ملكٍ يهيمُ بحبِّها .
رُدَّها يا بني عن اختيارٍ مُعيب :
أحكمْ بلا تحيّزٍ فتُقنِعْها على وجهٍ أفضل . ٦٣٠
وبعد ، فحَسْبي هذا امتحاناً لضَعفي :
ألاّ تدفعَ هذه العاطفةُ نفسُها ، ما أدراني ،
إلى سَوْرةِ غضبٍ لن يأسفَ لها
قلبي الجريحُ إلاّ بعدَ أن يثأرَ لنفسِه ؟

---

١) أي أنه يريد أن يمتحن إخلاص أولئك الذين يسعون الى نيل رضاه .

المشهد السادس

مونيم – زيفاريس

زيفاريس : – ماذا أقول يا سيدتي ؟ وكيف لي أن أفهم ٦٣٥
هذا الأمر، هذا الكلام الذي لا أستطيع ادراك كنهه؟
أمِنَ الحق ، أيتها الآلهة العظيمة ، أن يكون فرناس
الأثيرُ لديك ، قد استحقّ فعلاً ذلك الغضب ؟
وهل يكون ضالعاً في هذا الاضطراب المتناهي ؟

مونيم : – فرناس؟ أيتها السماء! فرناس؟ آه! ماذا تراني أسمع؟ ٦٤٠
أوَلا يكفي اذن هذا اليومَ المشؤومَ
أن ينتزعني والى الأبد ممن أحب وأوثر ؛
وان أراني ، أنا الأسيرةَ الشقيةَ بواجبي ،
رهنَ عذاب خالد لا يريم ؟
ثم يُشفعه بالإهانة والهوان ! ٦٤٥
أوَ يعزو بكائي الى حبي لفرناس ؟
ويظن ، رغم كلّ حقدي ، أن يكون قد استمالني !

انني أغفر ذلك للملك الذي لم يستطع
غضبه الاعمى أن يكشف مكنونات قلبي .
ولكن ، أنت يا سيدي ، أنت ، تعاملني مِثلَه ؟ ٦٥٠

زيفاريس : — آه يا سيدتي ! أعذري عاشقاً أضلّه هواه ،
عاشقاً مقيداً بواجب صارم يجد نفسه موشكاً
أن يفقد كل شيء ثم لا يجرؤ على الانتقام .
ولكن ماذا يسعُني أن أحكم من خلالِ هياجِ الملك ؟
إنه يشكو من حبٍّ آخر يناهضُ أمانيه . ٦٥٥
ليتَ شعري أيُّ مجرمٍ محظوظٍ يمكنُه أن يكونَ
خالِقَهُ ومَصدرَه ؟
من هو ؟ تكلمي .

مونيم : — إنك لَتسعى أيها الأميرُ إلى عذابِ نفسِكَ بنفسِك.
أشكُ مصيبتَك ولا تزدْها بلاء .

زيفاريس : — أعرفُ جيداً أيَّ عذابٍ أُعِدُّه لنفسي .
إنه لقليلٌ أن أرى أبا يُزَفُّ إلى من أُحب : ٦٦٠
أمّا أن أرى غريماً تشرّفينه بدموعِك ،
فلا ريبَ أن هذا عندي منتهى الويلِ والشقاء ؛
غيرَ اني في خضمّ يأسي أسعى لمضاعفتِها .
رُحماكِ يا سيدتي أظهريه لي :
من تُراه يكونُ هذا العاشقُ ؟ ومن عليَّ اتهامُه؟ ٦٦٥

مونيم : — أَيشُقُّ عليكَ كثيراً ان تفكرَ فيه ؟
أوَ لم أبحْ لكَ بشكواي منذُ قليلٍ ضدّ فرناس
حينما كنتُ أسعى لتجنّبِ إكراهِ ظالم ؟
ثم على مَن توَكأ قلبي ساعةَ طلبَ العونَ والحماية ؟
وأخيراً أيُّ بَوْحٍ[1] أصغيتُ إليه منه دونَ غضبٍ
أوْ نُفُور ؟ ٦٧٠

زيفاريس : — يا للسماء ! ماذا ؟ أأكون أنا هذا الجاني المحظوظَ
الذي استطعتِ أن تشمليه بنظرة منك راضية ؟
ليت شعري هل ذرفتِ دموعَكِ من أجلي ، من أجل
زيفاريس ؟

مونيم : — أجل أيها الأمير ، لم يَعُد لي أن أكتم ذلك :
فألمي المبرح عاجز عن أن يسكت أو يستكين . ٦٧٥
إن واجباً ثقيلاً يرغمني على الاعتصام بالصمت ؛
غير انه لا بد لي أخيراً ، رغم شرائعِه القاسية ،
من أن أتكلم لأول ولآخر مرة :
أنت تهواني منذ زمن بعيد ، وأنا كذلك .
عاطفة مماثلة كانت تثير اهتمامي بك وتشجيني . ٦٨٠
فكـّرْ — منذ متى — خلقتْ هذه المفاتن المشؤومة

١) فضلنا وضع كلمة بوح مكان كلمة حب لاستقامة العبارة العربية .



زيفاريس : يا للسماء ! ماذا ؟ أأكون أنا هذا الجاني المحظوظ
الذي استطعتِ أن تشمليه بنظرة منك راضية ؟

حبّاً ما كانت يوماً جديرةً به ولا أهلاً له .
تذكر أملاً لم يراودك طويلاً .
تذكر القلق الذي ألقاك فيه حب أبيك .
تذكر عذاب فقداني ورؤيةِ أبيك سعيداً . ٦٨٥
تذكر قسوةَ واجب يناهض كلَّ أمانيك :
لعمري لن يكون بوسعك يا سيدي أن تستعيد كل هذه الذكريات ،

ولا أن تسرد مصائبك دون أن تسرد قصتي معها ؛
ولما رُحتَ هذا الصباح تتلوها على مِسمعي ،
كان قلبي يجيبك عنها جميعاً . ٦٩٠
فيا لهمن حبٍ بلا جدوى ان لم يكن حب شؤم وبلاء !
ويا لها من عروة وثقى رائعة تتقاذفها الأقدار !
آه ! بأيِّ مسعىً قاسٍ ربطتِ السماءُ
بين قلبين لم يُقدَّر لها — كليهما — ان ينبضا معاً ؟
فمهما يكنِ الحبُّ الذي يجنحُ بي نحوَك ، ٦٩٥
فإني أقولـه لك يا سيدي كيْلا أعودَ فأقولـه ثانية :
إن شرفي يُناديني ويدفعُني إلى المعبد
حيثُ سأقطعُ على نفسي عهداً ألاّ أُكلمَك أبداً .
أسمعُ تأوُّهَـكَ وأنينَك ؛ ولكنْ هذا هوَ سرُّ نَـكبتي وبَلائي .

أنا لستُ لك وإنما لأبيك . ٧٠٠

أجل وعليكَ أن تُؤازرَني — أنتَ بالذات — في هـذا السبيل ،
وأن تُعينَ ضَعْفَ قلبي على بُعادِك وهجرانِك .
وإلاّ فسأنتظر . سأنتظرُ من كريمِ لطفِك
أن تجتنبَ رؤيتي بعد الآن في أيّ مكان .
ها قد تكلمتُ بما يكفي لحملِك على أن تقتنع ٧٠٥
بأن لديّ كثيراً من الأسبابِ حين أطلبُ منك ذلك .
ولكن ، إذا كان هذا القلبُ الكريمُ
قد أشعلتْ فيه مونيم حباً صادقاً حقاً ،
فلسوف لن أصغي بعد الآن إلى صدق أحاديثك ونجواك ،
إلاّ إذا عاهدتَني على تجنبِ رؤيتي في كل حين . ٧١٠

زيفاريس : — يا لها من دلالة أيتها الآلهة العظيمة على حب جدير بالرثاء !
كم أنا سعيدٌ وشقيٌ في آن !
بأيّ فَيضٍ من المجدِ والسعادة ،
وبأيةِ هُوّةٍ مُريعةٍ ألقيتِ بي !
ماذا؟ أوَ كنتُ قادراً على التأثير في قلب كقلبك؟ ٧١٥
أوَ كان بإمكانكِ أن تحبيني ؟ ورغم كل ذلك
يأتي إنسانٌ آخرَ ليَمْتَلِكَ هذا القَلْبَ الذي استأثرتُ بأمـانيه ؟
يا له من أب ظالم قاس ولكنه فوق هذا بائس شقي!...
تريدين أن أتوارى ، وأن أتحاشاك ؟

في حين أن الملكَ يريدُني أن أُلازمَكَ ؟ ٧٢٠
ماذا عساه يقول ؟

مونيم : — سيّان عندي ، فلا بد أن تستجيبَ لي .
اختلقْ معاذيرَ تستطيعُ أن تبهرَه بها وتضلّه .
إن في ذلك لجهداً كبيراً يأتيه بطلٌ على غِرارِك :
فاطلبْ أيها الأمير ، لتخدعَ نفسَكَ بنفسِك ،
اطلبْ كلّ ما يختلقُه الحبُّ لدى سائر المحبين ٧٢٥
ليستمتعوا بمسرّاتِهم ويَلهوا بأفراحِهم .
وبعد ، فأنا أعرفُ نفسي : إن حياتي لفي خطر داهم ،
وإن فضيلتي لتخشى ضَعفَ جُهودي ومحاولاتي ،
كما أعرف ، حين أراك ، ان بوُسع ذكرى عذبة جميلة
أن تنتزعَ من قلبي بعضَ زفَراتٍ لا تليقُ بي ؛ ٧٣٠
فأرى روحي ، وقد مُزّقتْ في حنايا صدري ،
تطيرُ إلى الحبيبِ الذي باعدتْ بينَها وبينَه الأيام ،
ولكنني كذلك أعلمُ علمَ اليقين، إذا كان الأمرُ يعنيك،
أنك ، حين أُكرّمُ ذكرى لطيفة رائعة ،
لن تستطيعَ منعَ شرفي المُهان ٧٣٥
من أن يعاقب في الحال هذه الفكرة الآثمة ،
وأن تحول بين يدي وبين سعيها إليك في سويداء قلبي
حتى تغسلَ فيه عاري وتنتزعك منه .
ماذا أقول ؟ انني أشعر في هذه اللحظة الأخيرة الحاسمة

بفرحة مشؤومة تمسك بي وتأسرني . ٧٤٠
كلما كلمتك ، أنا الضعيفة الحائرة ،
سعيت لاطالة الخطر الذي أحاذره .
ومع هذا فلا بد من اتخاذي موقفاً حازما ؛
انني أتوارى دون أن أضيع في لحظات الوداع بقية ثبات .
تذكر أيها الأمير أن عليك ان تتحاشاني ، ٧٤٥
وكن جديراً بالعبرات التي ستكلفني بسكبها.

زيفاريس : - آه ! سيدتي ... إنها تتوارى ولا تود الاصغاء إلي .
أيها الشقي زيفاريس ، أي سبيل عليك ان تتخذ وأي قرار ؟
تحبك ، تهجرك : أنت نفسك ترى جيداً
أن واجبك يتفق وواجبها . ٧٥٠
بادر الى اختصار عذابك بموت صاعق .
ومع ذلك فلننتظر ريثما يتضح مصيرها ؛
وأذا كان لا بد لغريم أن ينتزعها مني
فلأتخل عنها – على الاقل – للملك بعد موتي .

الفصل الثالث

المشهد الأول

ميتريدات – فرناس – زيفاريس

ميتريدات : – إليّ يا ولديّ إليّ ، وبعدُ فقد أزِفتِ الساعةُ ٧٥٥
حيث يتحتمُ على سِرّي الدفين أن ينجلي أمامكما .
إنني أرى الجميعَ ضالعينَ ضدّ مساعيّ الحميدةِ
فلم يعدْ أمامي إلاّ أن أكشفَها لكما .
ها أنذا أتوارى : بذا قضى قدَري الخؤون .
ولكنكما تعلمان جيداً تاريخَ حياتي ٧٦٠
لكي تتأكدا أنني ، يومَ حرصتُ طويلاً على الاختفاء ،
كنت أنتظرُ في هذه الصحارى ان يسعى إليّ عدوّي.
إن للحربِ يُسرَها كما ان لها عُسرَها :
فبينما عدتُ على أعقابي أكثرَ من مرة
وحين كان العدوُّ الذي خدعَه كرّي وفرّي ، ٧٦٥
يُمسكُ وراءَ عربةِ النصرِ شعباً أجوفَ مُستعبَدا
ناقشاً ذكرى انتصاراتِه المزيلةِ على قطعٍ من نحاس ،

ومعلّقاً صُوَرَ ممالكي المحتلة ،
كان البوسفور يراني، بالذي من استعداد وتأهب جديدين
أحملُ الرعبَ من أعماقِ أسباخِه ومستنقعاته ، ٧٧٠
هادماً في يومٍ واحدٍ منجَزاتِ[1] سنةٍ كاملة ،
طارداً الرومانيين من أرجاء آسيا المصعوقة .
لكل زمان شؤونه وشجونه . فالشرق المرهق
لم يعد بامكانه أن يؤازر جهدهم المضاعَفَ او يظاهرَه؛
فهو يرى أكثر من أي وقت مضى ان سهوبه وفلواته ٧٧٥
يغمرها الرومانيون ، الذين أغنتهم الحرب ، بخسائرنا
واسلابنا .

وهم حين يكونون سالبين مفسدين، عطشى لخيرات الأمم
فلأن دويّ شهرةِ كنوزِنا قد جذبهم جميعاً واستهواهم:
فهرعوا إليها زرافات ووحدانا ؛ ولما كانوا متغايرين
متحاسدين

تلقاهم يهجرون ديارهم ليجوسوا خلال ديارنا ؛ ٧٨٠
أنا وحدي انبريتَ لهم وقاومتهم . وسواء كان أعواني
مرهقين ام خاضعين فان صداقتي المشؤومة كانت عبئاً
عليهم :
لقد حاول كل منهم أن ينقذ رأسه من هذا الحمل الثقيل.

---

١) مما أنجزه العدو من انتصارات .

كان اسم پومپيوس العظيم وحده يضمن له النصر.
كان فيه ذعر آسيا بأمرها . وبدلاً من السير إليه ٧٨٥
فاني قد قررت الزحف على روما يا ولديّ .
ستفجأكا هذه الخطة ، ولعلكما تعتقدان
أن اليأس وحدَه هو الذي وضعها اليوم .
أعذر خطأكا ؛ فمثلُ هذه الخطط
يتوجب تحقيقُها لتنالَ قبولَ الناس واستحسانهم. ٧٩٠
لا . لا تتصوروا أبداً أن تكون روما منفصلة
عن هذه الديار بحواجز أبدية .
إنني أعرف كل الدروب التي عليّ أن أسلكها ،
فإذا لم يدركْني الموتُ في طريقي إليها ،
ولم أؤجّلْ تنفيذَ ما وعدتُ به ، ٧٩٥
فإنني سأقودكا ، بعدَ ثلاثةِ أشهر ، إلى الكاپيتول .
هل لكما أن تشكا أن نهرَ الأوكسان لن يحملَني
خِلالَ يومَين
إلى الأماكنِ التي يصبُّ فيها نهرُ الدانوب ؟
وأن الميثاقَ الذي تعاهدتُ و« السيتيين » عليه
لن يسلمني مفاتيحَ روما هناك ؟ ٨٠٠
سنرى جيشَنا المحتشدَ في ثغورِهم والمتزايدَ بجنودِهم[1]

---

١) جنود حلفائه السيتيين .

يتكاثرُ في كلِّ خطوةٍ يخطوها .

أن « الداسيين » و« البانونيين » والجرمان الجفاة

كلُّ هؤلاءِ لا يَنتظرونَ سوى زعيمٍ لهم يحاربُ

الطُّغيانَ والطُّغاة .

لقد رأيتما الاسبان[1] وعلى الأخصّ الغاليين[2] ٨٠٥

يثيرون فيَّ انتقامي من هذه الأسوارِ نفسِها[3]

التي استولَوْا عليها فيما مضى ؛ وحتى في اليونان!

اتّهمَني سفراؤهم بالتهاوُنِ والتقاعسِ والقعود .

إنهم يدركون أن هذا السيلَ العرم الذي يوشك

أن يغمرهم سوف يجرف أمامه كل شيء إذا ما

جرفني . ٨١٠

ولسوف تريانهم جميعاً ، اذ يستبقون طوفانه ،

منقادين لي في إيطاليا ، ومقتَفينَ أثري .

وهناك – حين تصلان – ستجدان في كلِّ مكان

---

١) ذكر شيشيرون أن ميتريدات أرسل سفراءه الى الأسبان . كما ذكر أيضاً أنه كان يفكر بإلحاق جنوده بجنود سورطوريوس . أما المؤرخ فلوروس فيقول إن سورطوريوس أنجد ميتريدات بأسطوله . وفي الوقت الذي حدثت فيه هذه المأساة كانت حرب سورطوريوس قد وضعت أوزارها . ولكن ميتريدات كان يستطيع أن يأمل بإشعالها ثانية في أسبانيا . (المترجم)

٢) يتحدث المؤرخ آبيان عن قضية التحالف هذه مع الغاليين ذلك التحالف الذي كان من غاياته اجتياح جبال الألب ومن ثم ايطاليا .

٣) أسوار روما .

فظاعة الاسم الروماني وهوله أكثر من أي مكان آخر ،
وستجدان فوق هذا إيطاليا الحزينة تدخن ٨١٥
بنيران أشعلتها حريتها المحتضرة .
كلا أيها الأميران ، ليس لروما أبداً
ان تبتلي بكل ثقل نيرها أقصى أرجاء الأرض ؛
إن ألد أعدائك النافثين أشد أحقادهم ضراوة وعنفاً
هم على أبوابك يا روما . ٨٢٠
آه ! لو انهم استطاعوا ان يختاروا لمحررهم
اسپارتاكوس – العبد ، المبارز الحقير ؛
لو انهم اتبعوا في المعركة لصوصاً يثأرون لهم
فبأي حماسة نبيلة تظنان أنهم سينضوون
تحت ألوية ملك طالما كان النصر حليفه ، ٨٢٥
ملك يرى أنه من جدود يرقون بأرومتهم حتى قورش؟
ماذا أقول ؟ بأية حالة تعتقدان أنكما ستفاجئان روما؟
وهل بمقدور نسائهم وأطفالهم إيقاف زحفي
وروما خالية من كتائب تستطيع الدفاع عنها
في حين ينهمك الجميع بمطاردتي واضطهادي ؟ ٨٣٠
لنزحف ولنسير هذه الحرب الضروس في صميم قلبها :
وليمتد هولها حتى أقاصي الدنيا .
لنهاجم خلل أسوارها أولئك الجبابرة الغزاة .
ليرتعدوا ، بدورهم ، من أجل ديارهم وحتى منازلهم .

« لن يُقهَر الرومان أبداً إلا في قلب روما . » ٨٣٥
بذا تنبأ هنيبعل ؛ فلنؤمن بهذا الرجل العظيم .
ولنغرقها في دمها المسفوك لا محالة :
لنحرق الكاپيتول ، هذا الذي كانوا سينتظرونني فيه[1] .
لنحطمْ أكاليل غارِها ولنمحُ عارَ
مائة ملكٍ من ملوكنا وربما عاري ؛ ٨٤٠
لنـُزِل – والمشعل في يدي – كلَّ هاتيك الاسماء
التي كانت روما تكرس فيه[2] بها عاراً أبدياً .
ذلك هو المطمح الذي يملك عليَّ حواسي ويأسر نفسي.
ومهما يكن فلا تعتقدا أنني ، حين أبتعد عن آسيا ،
سأترك فيها الرومان « يملكون سعيداً ». ٨٤٥
فأنا أعرف من أين ينبغي أن أوَفـِّر لها حماة يحمونها .
إني أريد لروما ، حين يحيط بها الاعداء من كل جانب،
أن تستغيث پومپيوس فلا يغيثها .
ولما كنت أُجَسد رعب الرومان ، فإن ملك الپارثيين
يوافقني على الاستمرار في تحقيق غضبي العادل ؛ ٨٥٠
وإنه إذ يوحـِّدُ معي حقده وحقد أسرته ،
فهو يطلب مني أحد أولاديَ زوجاً لابنته .

---

١) حيث كنت سأقاد أسيراً وراء عربة بومبيوس الظـافر ماراً تحت عينيه أمام الكابيتول . ٢) في الكابيتول .

ان هذا الشرف يعنيك يافرناس وعليك وقع اختياري[١] ؛
هيا وكن ذلك الزوج المحظوظ .
وغدا وبدون ابطاء أريد من الفجر ٨٥٥
ان يكشف مراكبي وهي بعيدة عن البوسفور .
وانت الذي لا يعيقك شيء هنا ارحل لتوك ،
وكن جديراً باختياري في مبادرتك :
أنجز هذا الزواج العتيد ؛ وحين تعبر الفرات ثانيةً
دع آسيا ترى فيك ميتريدات آخر . ٨٦٠
ولتعلُ صفرة الهول طغاتنا المشتركين[٢] ،
وليتناهَ اليّ في روما دويُّ شهرتك .

فرناس : — مولاي ؛ لا أستطيع أن أخفي[٣] عنك دهشتي .
انه ليستخفُّني الطربُ والزهوُ حين تسرد عليّ
اقدامَك الكبيرَ هذا ؛
أنا معجبٌ به ؛ ولست أرى أبداً عزماً أكثر جرأة ٨٦٥
يضع في أيدي المنهزمين مثلَ هذا السلاح .
وإن ما يعجبني فيك على الأخص قلبك الذي لا يَكلُّ ،
والذي يبدو صامداً تحتَ عبءٍ ثقيلٍ يُرْهِقه .

---

١) وهكذا سيجد فرناس نفسه مرغماً على أن يكشف سرّه .
٢) يتظاهر ميتريدات بأنه يشرك فرناس معه في كرهه للرومان .
3) Déguiser.

ولكن إذا تجرّأتُ وتكلمتُ مخلصاً

هل أنت مرغم على ركوبِ مثلِ هذا الخطر ؟ ٨٧٠

لِمَ تحاولُ اقتحامَ غمراتٍ بعيدةٍ غير مجدية

في حين أن لك من دُولِك ملاذاً ومعتَصَماً ؟

لِمَ تحاولُ ان تجابهَ مِحَناً لا نهايةَ لها ،

هي أجدرُ برئيسِ زمرةٍ من الأفّاقين

منها بملكٍ كانَ منذُ قليل وبكثيرٍ مِنَ التوفيقِ

والرّجـــاء ٨٧٥

ينسجُ خيوطَ أملِه في الصباح وفي المساء

ودعائمُ عرشِه المزدهر قائمةٌ على ثلاثين دولة

حتى حطامُ هذا العرش هو في ذاته امبراطورية جبارة؟

انت وحدك يا مولاي، انت وحدك بعد أربعين عاماً

تستطيعُ أيضاً ان تصارعَ الأقدارَ فتصرعَها . ٨٨٠

فيا عدوٌ روما اللدودَ ويا حرباً على الراحةِ والقَرار

أفتحسَبُ جنودَك أبطالاً صناديد ؟

أم تظنُّ أن هذه القلوبَ المرتعدةَ إثْرَ هزيمتِها

المرهقةَ من جرّاءِ تقهقرٍ مضنٍ طويل

تسعى بلهفة ، تحتَ سماءٍ غريبة ، ٨٨٥

إلى الموتِ وإلى الإرهاقِ[1] الذي هو أسوأُ من الخطر ؟

أفَتُراها تقاوم في غير هذا المكان عدواً ظافراً مسعوراً

1) Le travail.



أركاس : مولاي ، لقد ضاع كل شيء ...

وهي التي انهزمتْ مراراً على مرأىً من الوطن[1]؟
هل سيكونُ أقلَّ إرهاباً ، أم تُراها ستكونُ أكثرَ انتصاراً عليه
في عُقْرِ دارِه وأمامَ آلهتِه ؟ 890
إن ملكَ البارثيين يسعى إليكَ ويطلبُ منكَ صِهراً.
ولكن هذا الملكَ يا مولاي المتحمِّسَ لنصرتِك
تراه يرضى أن يأخذ على عاتقه صهراً بلا سَنَد أو معين
يومَ يبدو الكونُ بأمره ملجأ لنا[2] ؟
أأذهبُ وحدي ، أنا حثالةَ القدَر 895
لأتحملَ تقلُّبَ البارثيين المعهودَ ونكوصَهم ،
وربما لأعرِّضَ سمعتَك لازدراءِ بلاطِهم
من أجلِ ثمرةِ حبٍّ جَسور ؟
فإذا وَجَب – على الأقلّ – أن أرضخ ،
إذا وَجَب أن أتَّخِذَ صِفةَ مُستَرحِم (وهذا ليس مِنْ شِيَمِنا) 900
من دونِ أن تُرسِلَ بي لأقبِّلَ ركبتَيْ ذلك الملك ،
وبدونك أنت بالذات لأستعطف ملوكاً لا يضاهونك شأناً
أفلا نستطيعُ أن نتخذَ طريقاً أكثرَ ضماناً وأسلم ؟
فلنرتَمِ بين أذرعٍ تُمَدُّ إلينا بفرحٍ واغتباط .

---

1) أي على مرأى من المواطنين والأهلين .
2) لاحظ التهديد الضمني الذي يلوح به فرناس لأبيه .

إنه لَمِنَ السَّهْلِ على روما أن تُهدِّىءَ نقمَتَها
من أجلِكَ ...   ٩٠٥

زيفاريس : — روما يا أخي ! يا للسماء ! أية جرأةٍ في ما تقول ؟
أأنت تريدُ للملكِ أن يخضعَ ويستكين ؟
أن يكذِّبَ في يومٍ واحدٍ كلَّ سيرةِ حياتِه ؟
أن يطمئنَّ إلى الرومانيين ، ويرضخَ لقوانين
حارَبها أربعينَ سنة دفاعاً عن سائرِ الملوك ؟   ٩١٠
(يخاطب أباه) استمرَّ يا مولاي : فمهما تكنْ مُنهزماً
فإن الحربَ والأهوالَ هي وحدَها ملاذُكَ الوحيد .
إن روما لتلاحقُ فيك عدوّاً فرضتْه الأقدارُ فرضاً
عدوّاً أشدَّ تآمراً عليها من هنيبعل وأشدَّ إرهاباً .
ومهما تستطع فِعْلَه ، أنت المُسرْبَلَ بدمِها ، ٩١٥
فلا تنتظرنَّ منها أبداً غيرَ سلامٍ دام ،
كذلك السلامِ الذي منحتَه في آسيا بإشارةٍ من يديكَ
لمائةِ ألفِ روماني في يومٍ واحد .
ومع هذا فاحفظْ رأسَكَ الجليلَ وصُنْه
ولا تذهبْ بنفسِكَ من بلدٍ إلى بلد   ٩٢٠
لتُظهرَ أمامَ الأممِ انهيارَ ميتريدات واندحارَه
فتخففَ بذلك من دويِّ شهرتِكَ العظيمة .
إن انتقامَكَ لَعادل ، ولا بد من القيامِ به :
إحرقِ الكابيتول واجعلْ روما أثراً بعد عين .

وحسبك ، بعد ، من هذا أن تشقّ لنا الطريق : ٩٢٥
فدعِ الأيدي الفتيّة َ تحملُ هذه المشاعل ؛
وفي حين يحتلُ فرناس آسيا
تفضَّلْ وشرِّفْ حميَّتي بتقليدي هذه المهمة الأخرى[١] .
مُرْ : ودَعْنا نبرهنُ للعالمِ بأسره
أننا حقاً ولداك والسائران على دَوِيِّ شهرتِك . ٩٣٠
أحرقْ بأيدينا كلَّ ما في عالمِ الصباحِ والمساء ؛
املإ الدنيا برائعِ انتقامِك دون أنْ تغادرَ البوسفور
ولْيتساءلِ الرومانُ المتدافعونَ بالمناكبِ من أدنى
الأرضِ الى أقصاها
أين عساك تكون ؟ ومع ذلك يَرونك أنـّى يتوجهون
مُرْني بالرحيل لتوّي . كلُّ شيء يستدعي بقاءَك
ها هنا ؛ ٩٣٥

أمّا أنا فكلُّ شيءٍ يُقصيني عنه[٢] .
وإذا كانت شجاعتي دونَ هذا القَصْدِ النبيل
فإن هذا اليأس ــ على الأقل ــ يتفق مع ما أنا فيه من بلاء .
سأذهب وأنا مفعم بالسعادة لأتعجل نهاية بؤسي وشقائي . . .
سأمحو بيدي جريمةَ أمي[٣] يا مولاي . ٩٤٠

---

١) مهمة حمل النار الى قلب روما . ٢) يعني حبَّه لمونيم .
٣) ان زيفاريس الذي كاد يفضح نفسه يريد أن يبعد شكوك الملك عن حقيقة وضعه .

إنك لتراني أخجلُ منها وأنا أجثو على ركبتيك ،
وإنني لأشعرُ بالعارِ حين أراني غيرَ جديرٍ بك ؛
فعلى دمي ـ كل دمي ـ أن يغسل وصمة بغيضة لاتطاق.
بَيْدَ أني أسعى لموتٍ يخدمُ مجدَك ويُرضي عُلاك .
وروما المستقرُّ[1] الوحيدُ ليأسٍ رائع ، ٩٤٥
هي اللحْدُ الجديرُ بابنِ ميتريدات .

ميتريدات : — (ينهض) بُنَي ، دعنا من الكلامِ عن أمٍّ خؤون .
إن أباك لمغتبطٌ وهو يعرفُ غَـيْرتَك وحميَّتَك ،
وهو لا يَراكَ تجابهُ الخطرَ
إلاّ ويشاطرُك حبَّه وإيثارَه . ٩٥٠
ستتبعُني : أُريدُ ألاّ يفرّقَنا مفرّق ؛
أمّا أنت أيها الأمير[2] فكن على استعداد لتنفيذ مشيئتي.
المراكبُ مُشرَعةٌ للإقلاع ، ولقد أعددتُ بنفسي
الأتباعَ والتجهيزاتِ المخصصةَ لك .
إن اربات المكلّفَ بمرافقتك الى هذا الزواج ٩٥٥
سيحرصُ على إحاطتي علماً بطاعتِك وولائك .
اذهب ؛ وتقبَّلْ وَداعي في هذا العناقِ الأبوي
واسعَ الى نُصرَةِ شرفِ أجدادِك .

فرناس : — مولاي ...

1) Objet.

٢) يوجه كلامه الى فرناس بلهجة قاسية .

ميتريدات : — حَسْبُكَ أيها الأميرُ مشيئتي .
اصدَع[1] . إنه لكثيرٌ أن أُكرِّرَ عليك ذلك . ٩٦٠

فرناس : — مولاي ، إذا وجبَ أن يَطويني الرَّدى لأرضيك
فسأرى مُسارعاً إليه أكثرَ اندفاعاً من غيري[2] .
اسمحْ لي أن أموتَ محارباً بين يديك .

ميتريدات : — لقدْ أمرتُك بالرحيلِ منذُ قليل ؛
أمّا الآن ... إنك تفهمُني أيها الأمير . ٩٦٥
أنت هالكٌ لا مُحالةَ اذا تفوَّهتَ وأجبتَني .

فرناس : — قسَماً لن أسعى الى فتاةٍ مغمورة
حتى ولو عرَّضتَني لألفِ هَلاك .
وها حياتي بين يديكَ وملكُ يمينِك .

ميتريدات : — آه ! هذا ما كنتُ أنتظرُه منك .
انكَ لن تستطيعَ الذهابَ أيها الخائن . هيا .
ها أنا أسمعُك ٩٧٠

أنا أعرفُ لماذا تتجنبُ زواجاً أدفعُك اليه :
ذلك لأن ما يكدِّرُك هو ان تفارقَ فريستَك ها هنا.
فمونيم تمسكُ بك ، وحبُّك الآثم

---

١) أرضخْ ونفذْ .   ٢) يُعرّض تلميحاً بأخيه .

ينوي انتزاعَها من عِهدةِ أبيك .
فلا الحماسةُ التي تعرفُ أنتَ كيفَ دُفِعْتَ بها
الى امتِلاكِها ، ٩٧٥

ولا تاجي المعقودُ على جبينِها ،
ولا هذا الملجأ نفسُه الذي أبقيتُها فيه ،
ولا غضبي العادل : كلُّ هذه الأمورِ استطاعتْ أن
تخيفَك أو تردعَك .

إن مماالأتَك ومجاملتَك الجبانةَ للرومانيين أيها الخائن
لم تكنْ في نظري وضيعةً بشعةً بما فيه الكفاية: ٩٨٠
لقد كان ينقصُك أيضاً هذا الغرامُ الأثيم ،
لكي تصبحَ هَواناً لحياتي وعذاباً لأيامي .
وبدلَ أن تندمَ على ذلك فإني أرى في وجهِك
ان اضطرابَك لا يصدرُ إلاّ عن غيظِك :
إنك تودُّ أن تُفلِتَ من قبضتي ٩٨٥
حتى تبادرَ إلى هَلاكي وبيعي للرومان .
ولكني سأنتصفُ منك قبل رحيلِك ؛
وقد أُعذِرَ من أنذر .

المشهد الثاني

ميتريدات فرناس – زيفاريس – حرس

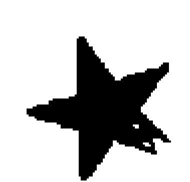
ميتريدات : – إليّ أيها الحرس . أمسكوا به .
أجل فرناس إياه[1] . ومنذُ اللحظة
لا تتركوه إلاّ وهو سجينُ البرج . ٩٩٠

فرناس : حسناً ! حقاً إن حبي يستحقُ غضبَكَ ،
من دون أن تتظاهرَ لي ببراءةٍ كاذبة .
أُحب . أجل . لقد صدّقوك الخبر .
بَيْدَ أن زيفاريس يا مولاي لم يقلْ لكَ كلَّ شيء .
وهذا السرُّ هو أهونُ ما كان باستطاعتِه أن
يُطلِعَكَ عليه : ٩٩٥

---

١) هذا العزم من ميتريدات يشير الى تردد الحرس ترددا يمهد لظهور خيانتهم المقبلة وتواطئهم مع فرناس كما سنرى .

لقد كان على هذا الابنِ الوفيّ أن يخبرَك
أنه يحبُّ الملكةَ مثلي وهي أيضاً تحبُّه[1].
لا سيما وأن فؤادَه كان يضطرمُ بنفسِ اللواعجِ
منذُ زمنٍ بعيد .



١) يلقي فرناس بآخر سهم من سهامه قبل أن يغادر المسرح نهائياً معتقداً ان أخاه زيفاريس قد خانه .

المشهد الثالث

ميتريدات - زيفاريس

زيفاريس : — مولاي أتصدّقُ أن مَقصَداً ظالماً ...

ميتريدات : — إي بني ، أنا أعرفُ مدى ما يستطيعُه أخوك. ١٠٠٠
حاشا للسماءِ أن أشكّ يوماً أنك
تكافىءُ إحساني وأياديّ بجزاءٍ قاسٍ شديد ،
وأن ابناً كان على الدوامِ رَوْحَ حياتي وريحانَها ،
يستطيعُ ان يمزّقَ هذا القلبَ الذي عهدتُ به اليه !
لا لن أُصدّق ذلك. هيا. وبدل أن أفكر فيه[1] ١٠٠٥
فإنني لن أُفكرَ بعد الآن بسوى الانتقام لنا .

(١) أي بقلبه وحبه .

المشهد الرابع

ميتريدات (وحده)

لن أُصدِّقَ ذلك ، يا له من أملٍ ــ سرابٍ يعلِّلُني !
إنك تغالي في تصديقِه أيها الشقي ميتريدات .
زيفاريس غريمي ؟ وتتجاسرُ الملكةُ بتواطئِها معه
على ان تخونَني اليوم ؟ ١٠١٠
ماذا ؟ أنّى التفتُّ
رأيتُ زوالَ الوفاءِ من كلّ القلوب ؟!
الكلُّ يتخلى عني هناك ، والكلُّ يخونُني هنا ؟
فرناس ، أعواني ، حبيبتي ، وحتى أنت يا بني ؟
أنت الذي كانت فضيلتُه تعَزيني في محنتي ... ١٠١٥
ولكن ، أتخفى عليَّ حقيقةُ الخائنِ فرناس ؟
أيُّ ضَعْفٍ يتملكني حين أُصدِّقُ مجنوناً
يُثيرُه على أخيه غيظٌ حسود !
ولكن ، لعلَّ يأسَه ، إذ يزعزعني بأكاذيبه ،
يزيد في عينيَّ عددَ الجُناةِ لينقذَ نفسَه ! ١٠٢٠

كلا ، لا تصدّقنّه أبداً ؛ ودون ان نتسرّع
فلنرَ ، ولنمعنِ النظر . ولكن من أين نبدأ ؟
مَن يا تُرى يَهديني ؟ أيُّ شهود ؟ أيُّ دليل ؟...
إن السماءَ لتوحي إليَّ في هذه اللحظة بحيلة وأي حيلة!
فلنستدعِ الملكة . أجل ، ولكي لا نذهب بعيداً ١٠٢٥
فإني أُريدُ الإصغاءَ اليها . لقد وقعَ اختياري عليها .
لَعَمري إن الحب ليصدقُ بلهفة[1] كل مايعلِّله او يُمَنيه .
فمَنْ ذا الذي يستطيعُ أن يحدّثَني عن آمرة
أفضلَ مِنَ الجاحِدةَ ؟

لِنرَ مَن مِن الاثنين سيتّهمُه حبُّها .
فإذا لم أكنْ جديراً به فالحيلة[2] جديرةٌ بها . ١٠٣٠
لنُهْلِكْ من يخوننا : ولكي نعرفَ الخائنَ
فليس هناك من وسيلة ... ولكن ها هي تظهرُ لي :
لنكتمِ الأمر ، ولْنستخلصِ الحقيقةَ بكذبةٍ ماهرة
لنستخلصَها من قلبٍ يُعلِّلُه أملٌ باطل .

1) Avidement. 2) Piège.

المشهد الخامس

ميتريدات – مونيم

ميتريدات : – وأخيراً ، لقد بانَ الصبحُ لذي عينين ، وها إني
أنصِفُ نفسي ، 1035
مقدِّماً بذلك لفاتنِك قرباناً حزيناً
بَدَلَ أن أقدِّمَ لكِ يا سيدتي مع عهدي
كلَّ عمري وشقائي اللذين أجرجرُها ورائي .
لقد كان حسنُ الطالعِ والنصرُ حتى الآن
يخفيان مَشيبي تحت لمعانِ ثلاثين تاجاً . 1040
ولكنَّ ذلك الزمنُ قد ولّـى ، كان لي سلطاني وها أنا
طريدٌ أسيرُ هَواني[1] .
وهذا عمري تتطاولُ أيامُه وتتبدَّدُ معها أمجادي .
وجبيني المجردُ مما امتازَ به من شرفٍ ونَبالة

---

١) يردد ميتريدات هذه الكلمة بلهجة الاعتزاز والفَخار دائماً .

ترتسم على تجاعيده كل نوائب الدهر الذي أذلّه وأضناه.
وفضلاً عن ذلك فان ألف شاغلٍ يملأ عليّ فكري: ١٠٤٥
انكِ تسمعين ضوضاءَ جيشٍ يتأهبُ للرحيل ،
فلا بد أن أعود الى مراكبي، أنا الذي غادرتها منذ قليل.
فيا لها لحظة زواجٍ يُبعدُني عنها هَرَبٌ مُعجّلٌ
سريعٌ يا سيدتي!

بأيةِ وقاحة أربطُكِ بمصيري
حين لا أراني أسعى إلاّ الى الحربِ والهلاك؟ ١٠٥٠
ومهما يكنْ كُفّي ، كفي عن ان تطمعي بفرناس ،
واعلمي أنني حين أُنصفُ نفسي أنصفُها لا محالة.
أنا لن أسمحَ أبداً ان يجعلَكِ تصبحين
حليفةً للرومان هذا الابنُ البغيض
الذي طردتُه من وجودي الى الأبد ، ١٠٥٥
حين يستأثرُ بحبٍّ ضُنَّ[1] به عليّ .
إن عرشي مُلْكٌ لكِ . وَبدلَ ان أندم على ذلك
فاني أضَعُكِ عليه قبلَ رحيلي
شريطةَ ان تسمحي ليدٍ عزيزةٍ عندي ،
لولدٍ هو موضوعُ حب أبيه والجديرُ به ، ١٠٦٠

---

١) بُخِلَ به . وميتريدات يعنيها هي .

وبكلمة : لزيفاريس ، اذ يصبح زوجاً لكِ ،
ان يَنتقِمَ لي من فرناس ويَفي بما لكِ من حقٍ علي[1] .

مونيم : — زيفاريس ! هو ، يا مولاي ؟

ميتريدات : — أجل هو بنفسه يا سيدتي .
فما هو سرُّ اضطرابِكِ لِسماعِ هذا الإسم ؟
ما الذي يُثيرك على اختياري العادلِ هذا ؟ ١٠٦٥
أهناك حبٌّ عصِيٌّ لا يمكن ترويضُه ؟
أعود فأقول : إنه إنسانٌ هو انسانُ عيني ،
انه ابنٌ مُظفَّر ميمون يحبني وأحبه ،
إنه عدوٌّ للرومان لَدود ، إنه دعامةُ مملكةٍ
ووريثُ اسم[2] سيستمرُّ فيه ويخلد ؛ ١٠٧٠
أنا لا أستطيع إلاّ ان أضعَك بين يديه
رُغمَ ان قلبَكِ تجاسرَ ومنَّى نفسَه الأماني[3] .

مونيم : — ماذا تقول ؟ يا للسماء ! أتستطيعُ ان توافقَ على[4] . . .
لماذا يا مولاي ، لماذا تريدُ ان تُخضعَني للتجربة ؟

---

١) لاحظ تدرج ميتريدات في الافصاح ـ بدهاء ـ عن زيفاريس .
٢) وريث اسم أبيه ميتريدات .
٣) يتظاهر ميتريدات دائماً بأنه يعتقد أن مونيم تحب فرناس .
٤) ان مونيم التي كادت أن تفضح نفسها استدركت حالاً وأمسكت عن البوح .

رُحماكِ ، كُفَّ عن تعذيبِ نفسٍ شقية .   ١٠٧٥
أنا أعرفُ أنني أُرسِلتُ لأكون لك ؛
وأعرفُ ان الضحية[١] في هذه اللحظةِ يا مولاي
تنتظرُنا ثَمَّ في المعبدِ لعقدِ هذا الزواجِ المَهيب[٢].
هيا بنا .

ميتريدات : — أرى ذلك جيداً ، فمها أُحاولُ يا سيدتي
فأنتِ تريدين ان تكوني لفرناس .   ١٠٨٠
إنني أستشِفُّ دائماً ازدِراءَكِ الظالِمَ
الذي عمَّ فشمَلَ حتى ابنيَ التاعس .

مونيم : — أنا ، أزدريه !

ميتريدات : — حسناً ! دعينا من ذلك يا سيدتي[٣].
استمرّي واكتَوي بنارِ حبٍّ أثيم .
أما أنا فإنني سأسعى بصحبة ابني بعيداً عن عينيك   ١٠٨٥
إلى موتٍ مجيدٍ في أقصى المعمورة ،
أما أنتِ فكوني عبدةً طيّعَةً لأخيه في هذه الديار ،

---

١) كانت العادة في القديم أن يسبق الزواجَ تقديمُ الذبيحة أو القربان .
2) Nœud solonnel.
٣) يتظاهر ميتريدات بأنه لم يسمع استنكار مونيم . ولسوف يُرغمهـا على الاعتراف بالتهديد كما سنرى .

واشتري الرومانَ بدماءِ أبيك[1].
تعالَي . إنني لن أستطيعَ ان أُعـاقِبَ ازْدِراءَكِ عِقـاباً أشدّ

إلاّ ان أضعَكِ بنفسي بين يديه الدّنِسَتَين . ١٠٩٠
ومن دونِ ان أهتمّ بعد الآن بمجدِكِ
فإني أُريدُ ان أنسى كلّ شيءٍ فيكِ حتى ذِكراك .
هيا بنا يا سيدتي . هيا . سأصِلُكِ به .

مونيم : — أوْلى بكَ ان تعاقبَني بألفِ موتٍ وموت .

ميتريدات : — عَبَثاً تقاومين ، فإني أفهمُ تهرُّبَك . ١٠٩٥

مونيم : — أيُّ حَرَجٍ توقعُني فيه يا مولاي !
ولكني أُصدّقُكَ أخيراً ، ولا أستطيعُ ان أفكر
انك تستطيع أن ترغم نفسك على الخديعة زمناً طويلاً .
إن الآلهةَ لَتَشهدُ عليّ بأن غايةَ ما تطمح
إليه نفسي هي ان تنالَ إعجابَكَ وتقديرَك . ١١٠٠
ولكن إذا قُـدِّرَ لبعضِ ضعفٍ ان يُقلِقَني ،
واذا ما تسلح قلبي بكل جهوده ومساعيه ،

١) قابل هذا البيت بالبيت ٢٦٣ وما بعده . انها إهانة من أشد الإهانات التي يمكن لميتريدات أن يوجهها لمونيم . إذ أنهـا بزواجها من فرناس تكون قد اشترت بدم أبيها صداقةَ الرومان الذين هم سفحوه .

فـــلا تعتقدَنَّ يا مولاي ان فرناس ، وهو مصدر هواجسي وآلامي ،
كلفني سَكْبَ دمعة واحدةٍ من دموعي .
ان هذا الابنَ المظفر الذي يحظى بعطفك عليه، ١١٠٥
هذه الصورةَ الحيةَ النابضةَ التي تجدُ لديك رضى وقبولاً
هذا العدوَّ لروما وانسانَ عينِكَ هذا ،
وأخيراً زيفاريس هذا الذي تريد ان أُحِب...[1]

ميتريدات : — أنت تحبينه ؟

مونيم : — لو ان القدر لم يجعلْني لك ،
لكانت سعادتي منوطة بأن يصبح لي زوجاً. ١١١٠
أجل ، وقبل ان يمنحَني حبُّك عهدَك ذاك
كنا نتساقى الهوى . مولاي إن وجهَكَ ليَحول[2].

ميتريدات : — كلا يا سيدتي . حسبُكِ هذا . سأرسله اليك .
هيا . الوقت ثمين ، لا بد من استغلاله .
أرى أنكِ مستعدةٌ لإطاعتي . ١١١٥
أنا سعيد[3] .

مونيم : (وهي خارجة) يا للسماء ! أأكون قد خُدِعت ؟

---

١) ان مونيم باعترافها بحبها لزيفاريس تبدو - في كثير من المهارة والمكر - انها لم تحب ابنه المفضلَ إلا من أجل إرضائه هو .. ٢) يتغير لونه .

٣) لاحظ الجملَ المتقطعةَ اللاهثة التي يلفظها ميتريدات - هنا - وجهوده التي يبذلها للسيطرة على غضبه . ثم جملة « أنا سعيد » التي تحمل أكثرَ من معنى ..

المشهد السادس

ميتريدات (وحده)

إنهما عاشقان . وهكذا كان يُعبَثُ بنا .
آه ! أيها الابن العاق، ستكون مسؤولاً أمامي عن كل شيء.
ستُهلَكُ لا مُحالة . أنا أعرفُ
كم ضَلَّلَت[1] سمعتُك الزائفةُ وفضائلُكَ
الخادعةُ جَيْشي . ١١٢٠
أيها الخائن ، سأكيلُ لكَ الضرباتِ القاصمة :
ولكي أضمن هلاكك لا بد لي من إبعاد المتمردين في الجيش
حتى اذا أبعدتُ عني أكثرَهم تمرُّداً وعصياناً
لا أحتفظْ تحتَ تصرُّفي بسوى فِرَقٍ وَفيَّةٍ مخلِصة .
هيا بنا ! . ولكن من دونِ أن أُظهِرَ وَجهاً عَبوساً
مُهاناً ، ١١٢٥
فلأستمرَّ في إخفاءِ الأمرِ مثلما بدأت .

1) Ont séduit.

الفصل الرابع

المشهد الأول

مونيم – فوديم

مونيم : – بحق السماء اعملي بما أشاء يا فوديم :
اذهبي وانظري ما يجري وعودي اليّ .
لست أدري . ولكن قلبي لا يمكنه الاطمئنان :
ألف هاجس مخيف يطغى عليّ ويمزقني . ١١٢٠
ما الذي يؤخر زيفاريس ؟ ولماذا يتوانى
عن تلبية رغبات يسمحُ بها أبوه ؟
أبوه نفسه كان يَهُمُّ بارساله اليّ عندما غادرني .
ولكن لعله[١] كان يتظاهر بذلك. ليتني انكرتُ كل شيء.
أوَ يتظاهرُ الملِكُ وَيُرائي ؟ وأنا ، أكشفُ له
مكنونات قلبي ... ١١٢٥
أيتها الآلهة : أتكونين قد تخليت عني في هذا الخطر الداهم؟

١) الضمير عائد الى الأب .

وهل يُمكن لحبي المتهوّرِ العَجول
ان يُسلِمَ حبيبي لنار حقده ؟
واعَجَبا أيها الأمير ! عندما كنتَ تستعجلني بنفسك
لتعرفَ سري أنتَ المفعمَ بحبك المتناهي ، ١١٤٠
رأيتَني أكتمه عنك مراراً برفضي القامي العنيد ؛
حتى انني عاقبتُكَ بانتزاعِكَ له مني ؛
ولعلّ أباك حين راح يحاذِرُك ..
ماذا أقول ؟ لعلّ الأمرَ حينَ كان يتهدّدُ حياتَك ،
ساعتئذٍ تكلمتُ وبُحْتُ ، وبسهولةٍ فائقةٍ استسلمتُ
للخَديعَة ، ١١٤٥
وبذلك قدمتُ له القلبَ الذي على يدِه أن تطعنه !

فوديم : — آه ! كوني معَه يا مولاتي أكثرَ إنصافاً :
تُرى أينحدرُ ملكٌ عظيمٌ إلى مثلِ هذه الخديعة ؟
من عساه يُرغمُه على اتخاذِ هذا التظاهرِ[1] والخداع ؟
كنتِ ذاهبةً لاستباقِهِ إلى المعبدِ من دونِ تذمّرٍ
أو استياء . ١١٥٠
هل يريدُ أن يَفقدَ ولداً يحبُّه كلَّ ذلك الحب ؟
إن أعماله حتى الآن تدعمُ عهدَه وتؤكدُه :
مولاتي ، لقد قالَ لكِ إن أمراً خطيراً

1) Détour.

يحتمُ عليه مغادرتَكِ في الغداةِ مرغماً ؛
وهذا هو وحدَه ما يشغله ، وإذ يعجِّلُ رحيله ١١٥٥
فإنه بنفسِه يُعِدُّ كلَّ شيءٍ على الشاطىء .
ومراكبُه تتجهزُ بالجنودِ في كلِّ مكان ،
وزيفاريس يحذو حذوَه ويَتبَعُ خُطاه أنّى توَجّه .
أفيكونُ هذا مسلَكَ غريمٍ غضوب ؟
أم هل سنجدُ أفعالَه تكذِّبُ أقوالَه ؟ ١١٦٠

مونيم : — بَيْدَ أن فرناس الذي قُبضَ عليه بأمرٍ منه
يجدُ فيه غريماً قاسياً لا يَرحم .
فهل سيكونُ يا فوديم أكثرَ رحمةً مع زيفاريس ؟

فوديم : — إنما يُعاقِبُ في فرناس صداقتَه للرومان .
وليس للحب نصيبٌ كبير في شكوكِه الصادقة . ١١٦٥

مونيم : — انني أتقبل آراءك بقدر ما أستطيع :
فهي تُهَدىء قليلاً القلقَ الذي يفترسُني .
غير ان فرناس لم يظهر حتى الآن .

فوديم : — يا لضلال العاشقين الباطل ، هؤلاء المُفعَمين برغباتهم
الذين يريدون ان يستسلمَ كل شيء لدواعي مسرّاتهم ! ١١٧٠
والذين هم على استعداد لأن يغضبوا عند أيسر عَقَبة . . .

مونيم : — عزيزتي فوديم ، ومن عساه يدرك هذه المعجزة ؟
ماذا ؟ أأستطيع ان أتنفسَ لأول مرةٍ
بعد سنتين من آلامٍ [1] مُبَرِّحةٍ أنتِ تعرفين كلّ وطأتِها؟
ماذا؟ هل سأراني مرتبطةً بك أيها الأميرُ الحبيب؟ ١١٧٥
وبَدَلَ أن يُهَدِّدَ حبي حياتَكَ
تجدُ واجبَكَ وأجدُ فضيلتي
يؤيدان غراماً طاهراً قاوموه زمناً طويلاً .
تُرى ، أأستطيع كلّ يوم ان أؤكدَ لك حبي وهيامي؟
لِمَ لا تأتي ... ١١٨٠

1) Ennuis.

المشهد الثاني

مونيم – زيفاريس – فوديم

مونيم : — سيدي ، كنتُ أتكلمُ عنكَ بالذات .
كنتُ أرغبُ أن أراكَ هنا .

زيفاريس : — يتوجّبُ عليَّ الآن أن أقولَ لكِ وَداعاً .

مونيم : — وداعاً ! أنت ؟

زيفاريس : — نعم يا سيدتي ، وإلى الأبد .

مونيم : — ماذا أسمع ؟ لقد قيلَ لي . . . واأسفاه ! لقد خُدعت.

زيفاريس : — لستُ أدري يا سيدتي أيّ عدوٍّ مجهول ١١٨٥
يخونُكِ ويسعى إلى هلاكي حين فضحَ أسرارَنا .
غيرَ أن الملكَ الذي لم يكنْ ليصدّقَ فرناس منذ قليل
يعرفُ الآن كلَّ ما يعتلجُ به قلبانا .
إنه يُداجي ويشمَلُني بعطفِه ودلالِه ويخفي نواياه ؛

ولكنني أنا الذي ترعرعت في كنفه[1] منذ الطفولة ١١٩٠
كنتُ أدركُ تماماً كلَّ ما يُثيرُ مشاعرَه ؛
فقرأتُ في عينيهِ بوارقَ انتقامِه المنتظَر .
إنه يتعجّلُ في ترحيلِ كلِّ أولئك الذين
يمكنُ لشقائي أن يثير فيهم الألم ويدفعهم إلى التمرد
لقد أدركتُ سرَّ إكراهِهِ لنفسِه من أجلِ طيبةٍ
مُصْطَنَعَة[٢] . ١١٩٥

كلمة واحدة نطقَ بها أربات أكدتْ لي جميع مخاوفي.
عَرَفَ[٣] سبيله إليَّ ؛ وقال لي والدموعُ في عينيه :
« إنه يعرف كلَّ شيء : انجُ بنفسك من هذه الديار. »
هذه الكلمات جعلتْني أرتعدُ للخطرِ المحدق بمليكتي ؛
وهذا الرجاء[٤] الغالي هو وحدَه الذي أتى بي . ١٢٠٠
أخافُ منكِ عليك ؛ وها أنا أركعُ على قدميكِ
لأتوسلَ إليكِ يا أميرتي الحبيبة مُسترحماً قلبَكِ
مِنْ أجلِكِ أنت .

إن مصيرَكِ هنا مرتبطٌ بإنسانٍ[٥] عنيفٍ عنيد ،

---

1) Sein.

٢) أي انني عرفت سر الإكراه الذي كان يحمل نفسه عليه ليظهر لي مزيداً من ألطاف مصطنعة وطيبة قلب كاذبة .

٣) أي أربات .

4) Intérêt. 5) Main.

إنسانٍ قلما يخيفُه أغلى دمٍ يُهرِقُه ؛
ولا أجسر على القولِ إلى أيِّ مدىً ١٢٠٥
تستولي القسوةُ غالباً على ميتريدات الغيور .
ولربما أكون أنا وحدي الذي يتهدّدُه غضبُه ؛
لعله بفقدي يريدُ أن يعفوَ عنكِ ويصفح .
فتفضّلي باسمِ الآلهة ، تفضلي واغتنمي فرصةَ العمر ؛
إياكِ أن تُثيري غضبَه برفضٍ جديد . ١٢١٠
حاولي أن تحيطيه بمزيدٍ من التقدير ، وبقليل من الحب ؛
تظاهري . ارغمي نفسَكِ عليه : فكّري انه أبي .
استمتعي بالحياة ؛ واسمحي لي في خضمِّ كلِّ مصائبي
ألاّ أكلّفَ حبَّكِ سوى الدموع والآهات[1] .

مونيم : — آه ! أنا أفقدك[2] !

زيفاريس : — أيتها الكريمةُ الطيبةُ مونيم ، ١٢١٥
لا تَنْسُبي لنفسِك البلاءَ الذي يُرْهِقني .
ليست طيبةُ قلبكِ وحدَها هي التي تضرني :
فأنا شقي يُسيِّره القدر ويعبث به .
انه هو الذي انتزع مني محبةَ أبي وحنانَه ،

---

١) انه يفضل أن تبكي حبيبته من أجله وتتأوه على أن تموت .
٢) هذا التعجب العفوي من مونيم يدل على أنها لم تعِ سوى شيء واحد من كلام زيفاريس هو : أنه هالكٌ في نظرها وأنها هي السبب .

هو الذي جعله غريمي وجعل أمي تتمرد ، ١٢٢٠
والذي جاء في هذه اللحظة البشِعة
يُثير عدواً مستتراً ليخوننا كلينا .

مونيم : — ماذا ؟ هذا العدو ، أما زلتَ تجْهله ؟

زيفاريس : — والأنكى يا سيدتي انني — فعلاً — أجهله .
سعيداً أكون لو استطعتُ قبلَ هلاكي ١٢٢٥
أنْ أُمزقَ القلبَ الخؤونَ الذي كشفَ سري وفضحَ أمري !

مونيم : — حسناً ، لا بد لك ان تعرفَه يا سيدي .
لا تبحثْ في غيرِ هذا المكان عن هذا العدو ، هذا الخائن ؛
إضرِبْ : ولا يمنعنّكَ أي اعتبار .
أنا التي يجب ان تُعاقب . أنا التي فعلتُ كلَّ شيء . ١٢٣٠

زيفاريس : — أنت !

مونيم : — آه ! لو كنتَ تعلم أيها الأمير بأي مكر ودهاء[1]
اكتشفَ[2] القاسي مكنونات قلبي !
أي ودٍ خالص تظاهرَ به تجاهك !
لكَم كان سعيداً أن يراكَ تصبحُ لي زوجاً !

---

1) Adresse. 2) Surprendre.

مَنْ كانَ لا يُصدِّق ... ولكن لا ، كانَ على حُـبّي
الوَجِـلِ ١٢٣٥

ألاّ يُسلِمَكَ ، كما أسلمَكَ ، إلى طيبةِ قلبه الخادعة .
إن الآلهة التي كانت توحي لي، والتي لم أُحسن اتّباعها،
أخرستْني ثلاثَ مراتٍ بإلهامٍ خفيّ[1].
كان عليّ أن أستمرّ ، كان عليّ حيالَ الباقي ...
وبعدُ ، ما أدْراني ؟ كانَ عليّ أن أكونَ أقلّ
شؤماً عليك ؛ ١٢٤٠

كان عليّ أن أخشى هباتِ الملكِ ووعودَه المسمومة ،
ألاَ إني سأعاقبُ نفسي اذا ما صفحتَ عني .

زيفاريس : — ماذا؟ أنت يا سيدتي ؟ أيكون الحب هو الذي ذكرني ؟
أيكونُ لشقائي أن يصدرَ عن باعثٍ جميلٍ كهذا ؟
أيكون لحب جارف أن يخون مكنونات قلبينا؟ ١٢٤٥
ثم تتهمين نفسَكِ لأنكِ جعلتِني سعيداً ؟
أوَ أطلبُ المزيدَ بعدَ كلّ هذا ؟ لا بل سأموتُ
فَخوراً وفيـا .

أما أنتِ فإن مصيراً آخرَ يدعوكَ الى العرش :
فاقبلي به يا سيدتي ؛ ومن دون أن تقاومي
أتمي زواجاً يجعلُكِ تعتلينَه . ١٢٥٠

1) Avis secrets.

مونيم : — ماذا ؟ أأنتَ تطلبُ مني أن أُزَفَّ الى بربري
سيفرّقُنا حبُّه البغيضُ الى الأبد ؟

زيفاريس : — فكري أنك كنتِ تنوين الزواجَ منه هذا الصباح ،
وألاّ تريني أبداً حين استسلمتِ لأمانيه .

مونيم : — رويدَك . هـــل كنتُ أدرك وقتذاكَ كل قسوته
وفظاظته ؟ ١٢٥٥
أوَ تُريدُني ، إذ أرضخ لهياجه وجنون غضبه
بعد رؤيتي لك متخناً بضرباته ،
ان أرافق الى المعبد زوجاً مستبداً عاتياً مثلَه
وان أضَعَ والأسفاه يَدَ حبيبتِكَ
في يَدٍ مضرجة[1] بدمك ؟! ١٢٦٠
هيا : وفكر ان تحاذرَ غضبَه وتتقي سُعارَه ،
من دون ان تُضيعَ الوقتَ هنا في إقناعي :
فالسماء سَتُلْهمني أيَّ طريق أسلكُ وأية جهةٍ اختار .
ما الذي سيحدثُ أيتها الآلهة لو انه فاجأك معي ؟
ليت شعري ماذا أقول ؟ اني أسمع وقع أقدام ١٢٦٥
إذهب ، أسرعْ واسلم ، وانتظر على الأقـــل ريثما
تعرف مصيري .

---

1) Fumante.

المشهد الثالث

مونيم — فوديم

فوديم : — أية أخطار يُعرِّض نفسه لها يا مولاتي !
ها هو الملك .

مونيم : — بادري وساعديه على إخفاء خروجه .
اذهبي ولا تتركيه أبداً ، وليهتم جيداً
بتدبير أمره من دون ان يهتم بأمري . ١٢٧٠

★

المشهد الرابع

ميتريدات – مونيم

ميتريدات : – هيا ، يا سيدتي ، هيا . إن داعياً خفياً
يجعلني أغادرُ هذه الأماكنَ وأسرعُ في رحيلي .
ففي حين يعود جنودي الى مراكبهم
راحلين معي ، متأهبين لاتّباع مليكهم ،
تعالي ، وليكنْ على إنجازِ وعدي في المعبد 1275
أن يربطَنا كلينا بمواثيقَ أبديةٍ لا تنفصم .

مونيم : – كلانا يا مولاي ؟

ميتريدات : – ماذا ؟ أتجسرين على التردّدِ[1] يا سيدتي ؟

مونيم : – أوَ لمْ تمنعْني أنتَ من التفكيرِ في ذالك ؟

ميتريدات : – كانت لديّ أسبابي وقتذاك : فلننسَها يا سيدتي .
لا تفكري الآن إلاّ في الاستجابةِ لداعي قلبي؛ 1280
بل فكّري أنقلبَكِ هو وقفٌ عليّ وحقٌ من حقوقي.

---

1) Balancer.

مونيم : — عجباً ! لماذا إذن أعدتَه إليَّ يا مولاي[1]؟

ميتريدات : — ماذا؟ أمن أجلِ ولدٍ عاق أنتِ مشغولة به دائماً تعتقدين ...

مونيم : — ماذا؟ إذن فقد كنتَ تخدعُني يا مولاي ؟

ميتريدات : — يا خائِنة ، خَليقٌ بكِ حقّــاً أن تقولي مثلَ هذا الكلام ، ١٢٨٥

أنت التي أعددتِ لي أسوأ الخيانات
يوم طويتِ قلبَك على حب أثيم
في حين كنت أرفعك بيدي الى ذروة المجد .
ألا تذكرين أبداً يا ذاتَ القلبِ الجاحدِ الخؤونِ
المتآمرِ عليَّ أكثرَ من سائرِ الرومان ، ١٢٩٠
أيةَ منزلةٍ مجيدةٍ انحدرتُ منها
لأبوئكِ عرشاً ما كنت لتجسرين على الطموح اليه ؟
لا تنظري اليّ منهزماً مضطَهداً أبداً ،
بل انظري اليّ مُظَفَّراً ومهاباً في كل مكان .
فكري بأية حماسةٍ واندفاع أحببتُك في ايفيز ١٢٩٥
وفضلتُك على فتيات مائة ملك هناك ؛

---

١) ان جواب مونيم ـ هنا ـ مفعم بالقوة والتصميم .

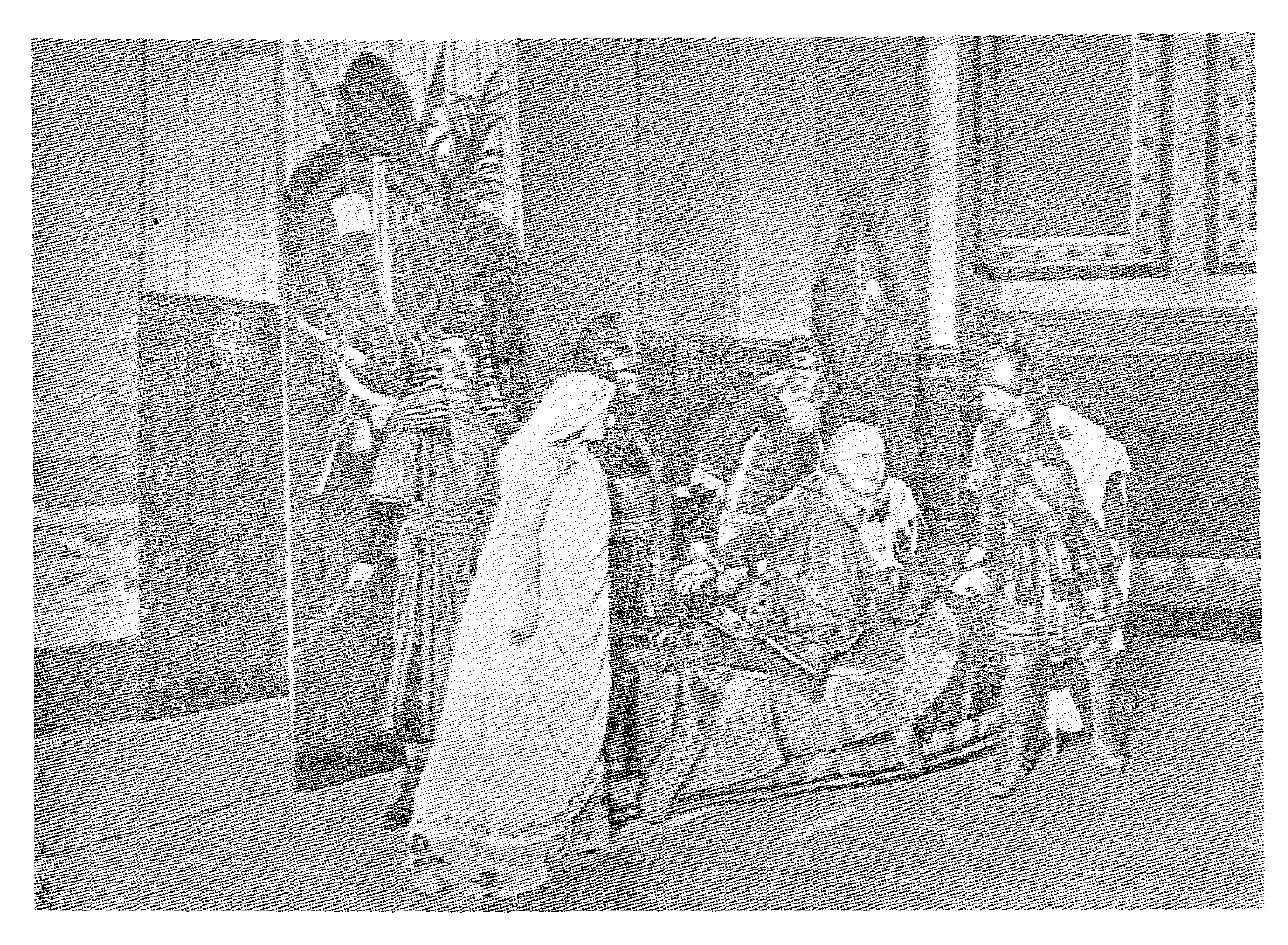
وكم من ممالكَ عديدةٍ وضعتُها تحتَ قدميك
يومَ تخليتُ من أجلك عن حلفاء ميامين كثيرين .
آه ! لو ان هوىً غلاّباً[1] لحبيب آخر
جعلكِ لا تأبهين يومذاك بألطافي وأفضالي ؛ ١٣٠٠
فلماذا تذهبين بعيداً في طلب زوجٍ بغيض ؟ [2]
لِمَ لم تحيري جواباً ساعةَ انصرفتِ من لدني ؟
أوَ كنتِ تنتظرين ، لكي تبوحي بالاعتراف المشؤوم ،
ان يَسلُبَني القَدَر كلّ ما بقي لي ؟
وأن تكوني أنت وحدَكِ موضوعَ تعزيتي[3] ١٣٠٥
حين أراني مرهقاً منسحقاً من كل جانب ؟
ومع ذلك فلحظةً أريدُ ان أنسى هذه الإساءةَ
وأخفي عن قلبي تلك الصورةَ السوداء
تجرؤين على استعادة الماضي أمامي
فتتهمينني أنا ، انا المُساء اليه ! ١٣١٠
أرى أن أملاً طائشاً يُراوِدكِ من أجلِ ولدٍ خائن .
أيتها السماء ، بأية بلوى[4] تبتلين ميتريدات !
بأي سحرٍ[5] خفي أكظِمُ هذا الغيظَ

1) Penchant invincible.

٢) لقد سبق لمونيم ان أجابت على اتهامات ميتريدات (أنظر البيت ٥ ٥ ٢ وما بعده).

٣) يحاول ميتريدات هنا أن يثير عطفَ مونيم وشفقتها . ولكن لاتَ ساعةَ إثارة . .

4) Epreuve. 5) Charme.



مونيم : أواه ! ماذا أرى يا مولاي ، وأي مصير هو مصيرُك ؟

الشديدَ المتحفزَ للاقتصاص ؟
فاغتنمي اللحظة التي يَهبها لكِ حبي ، ١٣١٥
تعالي ، اني آمِرُكِ لآخر مرة .
لا تُعَرضي نفسَكِ لمخاطرَ أنتِ في غنى عنها[١]
من أجل ولدٍ وقحٍ لن تَرَيْه أبداً[٢] .
أفقدي ذكراه مثلما تفقدين رؤيتَه
من دون ان تُتلَوحي له بعهد هُوَ لي ؛ ١٣٢٠
والآن إذ تميلين للتجاوُبِ مع طيبة قلبي وتسامحي ،
كوني جديرة بالعفو الذي أمنحكِ إياه .

مونيم : — لم أنسَ قَط يا مولاي أيَّ فضلٍ
يُلزمني بالخضوع لطاعتك .
ومهما تكن المنزلةُ التي سما اليها أجدادي فيما مضى ١٣٢٥
فإن مجدَهم التليدَ لم يَبْهرْ يوماً عيني .
انني أفكر في إجْلالٍ وتعظيم كم أنا من أرومةٍ
أقلَّ عظَمةً من ان تطمحَ الى مثل هذا الزفاف النبيل؛
وبالرغم من حبي وأُولى رغباتي وميولي
الى ولدٍ هو من بعدك أعظمُ من وَطأ الثرى[٣] ، ١٣٣٠
ومنذ اليومِ الذي زيّنَ هذا التاجُ جبيني

---

1) Superflus.

٢) وهكذا نرى ميتريدات يلفظ حكمَه بالموت على ولده زيفاريس .

٣) ان مونيم استطاعت بهذا أن تعبر عن احترامها لميتريدات وحبها لزيفاريس في آن .

قد أقلعتُ يا مولاي عن حب هذا الأمير من أجل مصلحتي
وإذ اتفقنا — كلانا — على التضحيةِ بأمانينا
فقد سارعَ بأمرٍ مني لينساني بعيداً عني .
وفي ظلال الكتمان كانت لواعجنا تخبو شيئاً فشيئاً، ١٣٣٥
وحتى انه لم يكنْ بوُسعي أن أشكو من مصيري
لأني كنتُ أبني السعادةَ لبطلٍ مثلِكَ
على أشلاءِ أمانيَّ العِذاب ؛
فأنتَ وحدَكَ يا مولاي ، أنت وحدك
انتزعتَني من رِبْقَةِ هذه الطاعة ، ١٣٤٠
وذلك الحبُّ المنكودِ الذي انتصرتُ عليه ،
بل تلك الصبابة التي اعتقدتُ أنها خُنِقت في مهد النسيان،
حين نأى مسبِّبُها عن ناظريَّ إلى الأبد ؛
أما دهاؤك فقد كشفَ أمرَها وجعلني أُقِرُّ بها .
أجل لقد اعترفتُ لك بها وعليَّ أن أؤكدَها ؛ ١٣٤٥
وعبثاً تستطيع ان تنسى ذكراها ؛
فهذا الاعترافُ الزَّريُّ الذي أرغمتَني عليه
سيبقى على الدوامِ ماثلاً في خاطري[1] .
وسأعتقد — ما حُيِيت — أنك تظنُّ بوفائي الظنون .
إن القبر يا مولاي هو عندي أقل وحشة وكآبة[2] ١٣٥٠

1) Pensée. 2) Triste.

من فراشِ زوجٍ سبَّبَ لي تلك الإساءة ،
وحققَ عليّ هذا الانتصارَ القاسيَ الظّلوم ،
وجعلني أخجلُ من حبٍّ لم يكنْ إلاّ لسواه[1]
حين أعدّ لي عذاباً أبدياً .

ميتريدات : إذن فهذا هو جوابك؟ ومن دون أن ترضيني ١٣٥٥
ترفضين الشرفَ الذي كنتُ أرغبُ أن أمنحَك إياه؟
فكّري ملياً في الأمر ، إنني أنتظرُ لأتخذَ قراراً .

مونيم : – كلا يا مولاي ، عبَثاً تعتقدُ أنك تخيفُني[2].
أنا أعرفُكَ وأعرفُ كلّ ما أنا قادمةٌ عليه ،
وأرى أيةَ مصائبَ أصبُّها على رأسي ؛ ١٣٦٠
بيد اني اتخذت قراري: لا شيء يستطيع أن يزعزعني.
فاحكمْ بما ترى، ما دمت أتجاسر على خطابك بمثل هذا،
يُلهِبُني في تجاوُزي حدّ الاعتدالِ غضبٌ شديدٌ
لم يَصدرْ عني حتى هذه اللحظة .
لقد استخدمتَ يدي المشؤومةَ ١٣٦٥
لتسدّدَ بها خنجراً إلى صدرِ ولدِك .
أما أنا فقد خنتُ سرّ صَباباتِه البريئة :
وهو حين لا يفقدُ بذلك غيرَ محبةِ أبيه

---

[1] أي لسوى ذلك الزوج الذي هو أنت .

[2] Etonner.

فإنه سيموتُ بسببها يا مولاي[1]. فلا عهدي ولا حبي
سيكونان ثمناً لمثل تلك الخدعة القاسية الظالمة. ١٣٧٠
أحكمْ بعدَ هذا . إقضِ على عاصيةٍ متمردة ،
تسلحْ بسلطةٍ أعطيتَها عليها :
سأنتظرُ حكمَك ، ولكَ أن تحكم .
كلُّ ما أجرؤُ على طلبه منكَ إذ أغادرُك ،
هو أن تؤمنَ (وأقولها لوجه الحقِ والفضيلة) ١٣٧٥
بأنني أخونُكَ وحدي وليس معي شريكٌ أو ظهير ؛
وبأن رغباتِكَ سيحالفها نصرٌ مؤزرٌ
اذا ما وثِقتَ يا مولاي بأمانيّ ولدِك .

---

١) تحاول مونيم بمهارة فائقة أن تنقذ زيفاريس بإيقاظها عاطفة الأبوة في قلب ميتريدات.

المشهد الخامس

ميتريدات (وحده)

انها تتركني ! وأنا أبدو موافقاً
في صمت جبان على هروبها الوقح الجسور ! ١٣٨٠
لولا قليلٌ لكان قلبي المشغوفُ بها
ينسب اليّ هو الآخر كثيراً من القسوة ؟
مَن أنا ؟ هل هي مونيم ؟ هل أكون ميتريدات ؟
لا . لا . لا غفران للجاحدة بعد الآن ولا حب .
ان غضبي ليعودُ إليّ ، وانا أعرفُ مَن أنا . ١٣٨٥
ألا فلنُضَحّ – ساعةَ الرحيل – بثلاثة جاحدين معاً .
انني ذاهبٌ الى روما ، وبمثل هذه التضحيات
يجب ان أجعلَ الآلهةَ تشفعُ لغضبي .
أنا مَدين بذلك، واني لقادر . لم يَعُدْ للجاحدين من ظهير :
إن أكثرَهم عصياناً بعيدٌ الآن عن الشاطىء ؛ ١٣٩٠
ومن دون ان أُميز من بينهم عدوي من صديقي ،
هيا بنا ولنبدأ بزيفاريس إياه .

ولكن أي غضب هو غضبي ؟ وماذا أنا قائل ؟
بمن ستضحي أيها الشقي ؟ بولدك ؟
بولدٍ تخشاه روما وتهابُه ؟ ولدٍ قادرٍ على أن يثأرَ
لأبيه ؟ ١٣٩٥

لِمَ أسفحُ دماً أنا في مسيسِ الحاجةِ إليه ؟
آه ! هل تركَ لي شقائي كثيراً من الأصدقاء
في الحالةِ المشؤومةِ التي جرَّني إليها سقوطي ؟
أحرى بي أن أفكر ، أن أفكرَ في كسبِ محبَّتِه ؛
فأنا بحاجةٍ إلى منتقمٍ لا إلى عشيقة . ١٤٠٠
ماذا ؟ أليس خليقاً بي ، طالما أن عليَّ أن أحرَم منها ،
أن أتخلى عنها لهذا الولدِ الذي أُريدُ الاحتفاظَ به ؟
فلأتخلَّ عنها . يا للجهود الباطلةِ التي تأبى
إلاَّ أن تطلِعَني على ضعفِ قلبٍ يسعى لخداع نفسه !
إني ألتهِبُ حبّاً وصَبابَة . إني أعبُدُها ، وبَدَلَ
أن أنفيها ... ١٤٠٥

أواه ! إنها لجريمةٌ وأريدُ أن أعاقبَها عليها .
أيةُ شفقةٍ تحبسُ مشاعري القلقة ؟
ألمْ يَسبِقْ لي أن عاقبتُ لأجل ذلك أقل منها خيانة؟
إيهِ يا مونيم ! إيهِ يا ولدي ! أيها الغضبُ الباطل !

وأنتم أيها الرومانُ السُّعَداء ، أيُّ انتصارٍ هُوَ
انتصارُكم ، ١٤١٠

لو انكم عرفتم عاري ، لو ان خبراً أكيداً حَمَلَ إليكم
ما أُعانيه من صراعٍ جبان !
عجباً ! لقد حرصت على أن أصون نفسي من كل السموم
حين خشيتُ خيانةَ أعزِّ الأيدي وأحبِّها ؛
وعرفتُ بدهاءٍ طويلٍ وشاق ١٤١٥
كيف أحترسُ من سُعارِ أشدِّ السمومِ فتكاً .
آه ! كم كان أفضلَ لي وأكثرَ تعقُّلاً وحُسنَ عاقبة
وأدفعَ لسهامِ حُبٍّ خطِر
ألاّ أدعَ قلباً أطفأتْه برودةُ السنين والأيام ،
يمتلىءُ بضرامِ حبٍّ مسموم ! ١٤٢٠
كيف لي أن أخرج من خضمِّ هذا الاضطراب المشؤوم؟

المشهد السادس

ميتريدات — اربات

اربات : — مولاي ، جميعُ جنودِك يرفضون الرحيل :
إن فرناس يُمسكُ بهم ، وقد أخبرَهم
انك تسعى لإشعال حرب جديدة يمتد لهبها حتى روما.

ميتريدات : — فرناس ؟

اربات : — لقد أغرى أولَّ ما أغرى حُراسَه ؛ ١٤٢٥
إن اسمَ روما يُرهِبُ أشدَّ الناسِ بأساً .
إنهم يتصوّرون آلافاً من الأخطارِ الرهيبة .
بعضُهم اعتصمَ بالشاطىءِ يائساً ، أما الآخرون
الذين كانوا مقلعين فقد ألقوا بأنفسهم في أحضان الموج[1] ،
وراحَ الباقون يَقذفون برماحِهم الى البحّارة. ١٤٣٠
انتشرتِ الفوضى في كلّ مكان؛ وبدل أن يصغوا الينا،
راحوا يطلبون السلام[2] ويَلهَجون بالاستسلام .

---

١) ليعودوا الى الشاطىء حيث رفاقهم المعتصمون . ٢) مع الرومان .

كان على رأسِهم فرناس ، وإذ انطلقَ يُدغدغُ أمانيهم
فقد وعدَهم بالسلام من قِبَل الرومان[1] .

ميتريدات : — آه ! يا للخائن ! أسرعْ ، وليأتَ بأخيه حالاً ؛ ١٤٣٥
ليَتْبَعْني ، وليهرعْ لنجدة أبيه .

أربات : — انني أجهلُ خطتَه ؛ ولكن حَمِيّةً مفاجِئة
جعلتْه يَهبط مسرعاً باتجاه الميناء ؛
ويُقال إنه شوهِدَ يتغلغل في صفوف المتمردين
يَتبعه حشدٌ كبيرٌ من أعوانه الأوفياء . ١٤٤٠
هذا كلُّ ما أعرفه عنه .

ميتريدات : — آه ! ماذا أسمع ؟
أيها الخونة ، لقد طالَ أمدُ انتقامي كثيراً !
بيد انني لا أخشاكم أبداً . فبالرغم من وقاحتهم
لن يجرؤَ المتمردون العُصاةُ على الثبات في وجهي .
لا أريدُ إلاّ رؤيتَهم ؛ لا أريدُ إلاّ ان أقتل ١٤٤٥
أمامَهم بيديَّ هاتين[2] ولدين وَقِحين[3] .

---

١) باعتباره عميلاً لهم .
٢) استعملنا المثنى مع اسم الاشارة بدل المفرد لتأتي العبارة العربية أقوى وأجمل .
٣) ان خيانة زيفاريس المفترَضة قد أدانته أمام عيني أبيه ميتريدات .

المشهد السابع

ميتريدات – اربات أركاس

أركاس : – مولاي ، لقد ضاعَ كلُّ شيء . فالمتمردون وفرناس والرومانُ كلهم يحتشدون حولَ هذه القلعة .

ميتريدات : – الرومان !

أركاس : – إن الشاطئَ ليزدحمُ بهم ، وستكون محاصَراً بعدلحظات بينهذه الجدران. ١٤٥٠

ميتريدات : – (يخاطب أركاس)
يا للسماء ! لنهرعْ . إصغِ[١] ... إنكِ لن تتمتعي طويلاً أيتها الأميرة الخائنة بالشقاء الذي يعتصرني ويحيق بي .

---

١) لا شك أن ميتريدات يريد أن يهمس في اذن أركاس أمْرَه بقتل مونيم ؛ ولكن هذا الأخير لم يسمع كلماته – كما يبدو – ولم يفهم قصدَه . كما سيبرهن ذلك البيت ١٦٣٢ وما يليه .

الفصل الخامس

المشهد الأول

مونيم – فوديم

فوديم : – الى أين تهرعين يا مولاتي ؟ أي تهور أعمى
يجعلكِ تعرضين نفسكِ لمحاولات أثيمة[1] ؟
عجباً ! هـــل استطعت ، أنتِ يا من توغلين في ظلم
نفسكِ ، 1455
أن تصنعي من عصابة مقدسة[2] رباطاً بغيضاً[3] ؟
آه ! ألا ترينَ ان الآلهةَ الأكثرَ رحمةً
قد قطعوا بأنفسهم هذه العصابة بين يديك[4] ؟

مونيم : – على رِسلِكِ ! بأيِّ سعارٍ لجوج[5] تلاحقينني ،

---

١) حاولت مونيم أن تخنق نفسها بواسطة العصابة الملكية التي زيّن بهـــا ميتريدات جبينها تمهيداً لتتويجها . ٢) العصابة الملكية .

٣) الرباط هنا هو العصابة إياها التي حاولت أن تخنق بها نفسها .

٤) انقطعت العصابة اثناء المحاولة فعزَتْ فوديم ذلك الى الآلهة .

5) Fureur obstinée.

هل تريدين أنت نفسك ان تجعليني أحيا رغماً عني؟ ١٤٦٠
لقد مات زيفاريس ، والملكُ اليائس
هو ذاته لم يَعُدْ ينتظر غيرَ موتٍ محتم :
أية ثمرةٍ تَعِدين نفسَك بها من جرّاء جرأتك الظالمة ؟
هل تريدين – يا خائنة ان تُسلِميني الى فرناس ؟

فوديم : – آه ! ترَقبي على الأقل خبراً صادقاً[1] ١٤٦٥
يؤكد موت أخيه الشقي .
ففي غمرة الحوادث التي تناهتْ الينا ،
أفلا يمكن للعيون ان تُخدَعَ بسهولة ؟
أنتِ تعرفين قبل كلّ شيء أن خبراً ظالماً
كان قد وضعَه في صفّ المتمردين العُصاة ؛ ١٤٧٠
والآن يخبرونَكَ أن هؤلاءِ الثائرينَ أنفسَهم
قد صوّبوا الى صدره أسلحتَهم المجرمة .
فتَبَيّني أيّ الخَبَرَين أصدق ، وتفضّلي واصغي ...

مونيم : – لقد ماتَ زيفاريس فلا ريبَ ولا شك :
إن النهايةَ لم تكذّبْ ما كنتُ أنتظرُه . ١٤٧٥
أجل لقد ماتَ قبل أن يصلَني الخبرُ الدامي
وعندي من البراهين الثابتة :
شجاعته واسمه الذي يُريبُ الرومانَ ويقلقُهم .

---

1) Rapport fidèle.



مونيم : أيتها العصابة التي بللتها دموعي الفَ مرة ،
ألا تستطيعين ـ على الأقل ـ حين أنهي حياتي وعذابي
ان تُسدي إليّ خدمةً وبيلة مهلكة ؟

آه ! كم تجدُ الآن روما نصرَها محقّقاً

على دمٍ رائعٍ طالما كانت هي عطشى اليه ! ١٤٨٠

أيُّ عدوٍّ سيجرؤُ على إيقافِ زحفِهم !

ولكنْ على حسابِ مَنْ أيتهـا الشقية[1] تجرؤينَ

فتبرّرينَ نفسَك ؟

ماذا ؟ ألا تريدين أن تقرّي بأنك أنت التي أهلكتِه[2]،

وأن تعترفي بجرائمك في كل ما أصابه من شقاءٍ وبلاء ؟ !

فكم أحطتُه بسفاحين قتلة ! ١٤٨٥

وكم من طعنات تراه أفلتَ منها ؟

عبثاً كان يتجنبُ الرومان ويحذرُ أخاه :

وأنا ، ألمْ أُسلمه الى سَورةِ غضبِ أبيه ؟

أنا التي جعلتُهما يَتغايران ويتحاسدان

حين أشعلتُ ناراً تلتهمُ الجميع ، ١٤٩٠

أنا محرّكةُ الفِتْنةِ ومؤجّجةُ ضرامِها[3] . أنا ربّةُ

الشرِّ والشؤْمِ

أنا التي خلقتْها زبانيةُ روما وأرضعتها من لُبانِها .

ومع ذلك أعيش ؟ وأنتظر ان يعود فرناس

---

١) تخاطب نفسها .

2) Qui l'opprimes. 3) Tison de la discorde.

مصحوباً بالرومان وقد تلطخ بدمائها[1] ؟
وان يعرضَ أمــام عينيّ فرحتَه الوالِغَــةَ بــدم
الأبوّة[2] ؟ ١٤٩٥

لعمري إن الموتَ ليفتحُ لي أكثرَ من سبيلٍ لليأس والقنوط :
أجل أيها القساة ، هيهات لنجدتكم الظالمة
ان تَسُدّ عليّ أقربَ طريقٍ الى القبر ،
سألقى الموتَ حتى بين سواعدكم نفسها .
أما أنتِ أيتها العصابة المشؤومة ، أيها التاج الشقي ، ١٥٠٠
يا من كنتِ أداةً لكل آلامي وشاهدَ أتراحي ،
أيتها العَصابة التي بلّلتْها دموعي ألفَ مرة ،
ألا تستطيعين - على الأقل - حين أُنهي حياتي وعذابي ،
ان تُسْدي اليَّ خدمةً وبيلةً مُهلِكة ؟
هيا ، كفاك بروزاً أمام نظراتي الحزينة : ١٥٠٥
ان أسلحةً أخرى ستعرف كيف تُنجدني من دونك ؛
فلْتغربْ شمسُ هذا النهار ، ولتهلكِ اليدُ القاتلة
التي كانت - فيما مضى - أولَ من عقَدتْكِ على جبيني !

فوديم : - اسمع وقعَ خطواتٍ يا مولاتي ، انهم قادمون ؛
وآمل ان يقود أركاس خطواتِه اليــك ليطردَ عنك
مخاوفَك. ١٥١٠

---

١) أي بدماء أبيه وأخيه .

2) Sa parricide joie.

المشهد الثاني

مونيم – فوديم – أركاس

مونيم : – أحقاً ما حدثَ يا أركاس[1]؟ وفرناس القاسي ...

أركاس : – لا تسأليني عن شيءٍ مما حدثَ يا مولاتي :
لقد كُلِّفْتُ بمهمةٍ هي من أسوإ المهمات وأشقاها ؛
وهذا السمُّ يخبرُكِ بعزمِ الملك.

فوديم : – يا للأميرةِ الشقية ! ١٥١٥

مونيم : – آه ! يا لها من فرحةٍ بالغة !
هاتِه . وقلْ يا أركاس للملكِ الذي أرسله إليَّ
إنني أتلقّاه كأعزِّ وأغلى ما أرغبُ وأتمنى
من بين كلِّ الهباتِ التي غمرَني بها لطفُه وعطفُه .
الآن أتنفسُ بملءِ رئَتي ؛ الآن تحرِّرُني السماءُ
من نجَداتٍ ثقيلةٍ كانت سترغمُني على الحياة . ١٥٢٠

---

١) أي هل مات زيفاريس ؟

الآنَ وقد أصبحَ أمري بيَدِي فإن السماءَ تريدُ
— ولو مرةً واحدة —

أن أتصرفَ بمصيري كما أشاء !

فوديم : — ويلاه !

مونيم : — كُفّي عن الصراخِ ولا تُفسِدي روعةَ[1]
هذه اللحظةِ السعيدةِ بدموعٍ زَرِيَّة ؛
وإذا كنتِ تحبّينَني يا فوديم ، فقد كانَ عليكِ
أن تَبكيني 1525

حينَ قُلِّدْتُ شرفَ لقبٍ مشؤوم ،
وحين انتزعتُ نفسي من بين أحضان اليونان الرحيمة
حيث اقتيدتْ سيدتُكِ الى هذا البلد البربري .
فعودي الآن الى تلك الشعوب السعيدة ؛
واذا كانوا لا يزالون يحتفظون باسمي 1530
فاذكري لهم ما رأيتِ ، واسردي عليهم يا فوديم
القصةَ الحزينة البائسة لكل مجدي وعزي .
وأنتَ[2] الذي عَبَدَكَ هذا القلب وهامَ بك

---

1) Charme.

٢) توجه نجواها هنا الى زيفاريس الذي تعتقد انه قد مات .

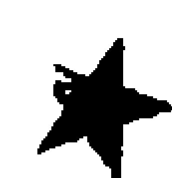
والذي طالما فرّقكَ عنه َقدَرٌ ظالم حسود ،

أنت أيها البطل الذي لا أجرؤ على ان يضمني ١٥٣٥

واياه قبرٌ واحد حتى ولو وضعتُ حداً لحياتي ،

تقبّلْ مني هذه التضحية ، وليتَ هذا السمّ

يُكـَفر في لحظتي هذه عن دَمِ حبيبي !



المشهد الثالث

مونيم – أربات – فوديم – أركاس

أربات : – مهلا ! مهلا !

أركاس : – ماذا تفعل يا أربات ؟

أربات : – مهلا ! انني أنفـذُ أمرَ ميتريدات . ١٥٤٠

مونيم : – آه ! دعني ...

أربات : – (يلقي بالسم من بين يدي مونيم)
كفى ! قلتُ لكِ ، دعيني يا سيدتي
أنفذ أوامرَ الملك :
لا تقتلي نفسَكِ[1] . وأما أنتَ يا أركاس
فبادرْ إلى الملكِ واخبرْه بنجاحِ مهمتي .

---

١) فضلنا هذه العبارة على كلمة « إحْيَيْ » لتناسب المقام من جهة والصياغة العربية من جهة أخرى .

المشهد الرابع

مونيم – اربات – فوديم

مونيم : – آه ! أيها القاسي أربات ، ماذا تُهيّءُ لي[1] ؟ ١٥٤٥
أوَ تظنُّ أن موتي هذا سيكونُ أكثرَ عذوبة ؟
وإذ يأبى عليَّ الملكُ موتاً سريعاً خاطفاً
تُراه يُريدُ لي أكثرَ من موتٍ ليروي غليلَه ؟

أربات : – سترينَه أمامكِ بعد قليل ، وإنني لموقِنٌ
بأنكِ ستبكينه معي أنتِ بالذات . ١٥٥٠

مونيم : – ماذا ؟ الملك ...

أربات : – إن الملكَ ليقتربُ من نهايتِه يا مولاتي ،
وهو لم يعدْ يرى سوى بصيص من نور .

---

١) ان مونيم التي لا تستطيع أن تعتقد بغفران ميتريدات تظن أنه يهيىء لها موتاً آخر أدهى من السم وأمرّ .

لقد تركتُه مضرّجاً بدمائه يحمله الجنودُ
وزيفاريس يتبَعُ خُطاهم ذارفاً الدموعَ السخينة .

مونيم : — زيفاريس؟ آه! أيتها الآلهة العظيمة! ليت شعري ١٥٥٥
أحقاً أنا صاحية . إنني لا أجرؤُ على تصديقِ ما أسمعُ
دونَ اضطراب .

زيفاريس حياً مايزال؟ زيفاريس الذي كانت دموعي . . .

اربات : — أجل ، إنه يعيش مُثقَلاً بالمجدِ مرهَقاً بالآلام .
فخبرُ موتِه الذي ملأ آفاقَ هذه الديار
لم يُثِرْ مخاوفَكِ أنتِ وحدَكِ وبلا سبب . ١٥٦٠
إن الرومان الذين كانوا يذيعونه بصيحاتهم في كل مكان ،
قد روّعوا جميعَ النفوسِ بهذا الخبرِ الفاجعِ المشؤوم ،
حتى أن الملك ــ وقد خُدع ــ راح يذرف الدمع مدرارا؛
واذ كان مُحاطاً من كلّ جهةٍ بابنه المتمرّد
فقد باتَ متأكداً من كارثةٍ حلّت بجيوشِه ، ١٥٦٥
يائساً من أي عون مغلوباً على أمره[1] .
ولما رأى — إمعاناً[2] في ألمِه وحقدِه — ،
النسرَ الرومانيّ يخفقُ بين راياته ،
لم يعُدْ يطمحُ إلاّ إلى أن يَشقّ طريقاً

1) D'être forcé. 2) Par surcroît.

ليجتنبَ عارَ الوقوعِ بين أيديهم . ١٥٧٠

جرّبَ قبلَ كلِّ شيء وَقْعَ[1] السمومِ المميتة

التي ظنّها بنفسِهِ ناقِعَة[2] وأسلمَ عاقبة[3] ؛

فوجدَها كلّها بلا فاعليةٍ أو تأثير[4] .

« أيتها النجدةُ الباطلة » قال ، يا من حاربتها طويلاً !

انا الذي كنتُ حَريصاً على أن أصونَ نفسي من كل

السُّمُوم ، ١٥٧٥

لقد فقدتُ كلَّ ما كانَ بإمكاني أن أنتظرَه منها .

فلْنستعنِ الآن بغوثٍ أكثرَ ضماناً

ولْنسعَ الى هلاكٍ أشد شؤماً على الرومان . »

بهذا نطق ؛ وهنا أمر بأن تُشرَعَ أبوابُ القصر

مُتَحدياً بذلك حشودَهم الغفيرة . ١٥٨٠

ليتكِ ، حيالَ رؤيةِ هذا الجبينِ الذي طالما

نشرَ غضبُه النبيلُ الرعبَ في صفوفهم ،

رأيتِهم جميعاً وهم يعودون القهقرى

تاركين بينهم وبيننا مدىً فسيحاً[5] ؛

---

1) Atteintes.

٢) من السم الزعاف .

٣) أي انه بتناوله السم يأمن الوقوع في أيدي الرومان .

4) Vertu. 5) Carrière.

فراح بعضهم يهرولُ فزِعاً هلوعاً 1585
حتى أدرك السفنَ التي جاءت به .
ولكن حين ثبّتَ فرناس أقدامَهم – أأقول ذلك
أيتها السماء !
وأيقظَ العارُ نخوتَهم في قلوبهم ،
فقد استعادوا شجاعتَهم وانقضّوا على الملك
الذي كان يدافع عنه معي فلولٌ من جيشه . 1590
ليت شعري ، من يستطيع القولَ بأية وقائع خارقة ،
وأية ضرباتٍ مَشفوعةٍ بنظراتٍ رهيبة ،
أتمّ ساعدُه مآثرَ هذا البطل العظيم
حين انبرى لآخر مرة ، ولا كالسواعد !
ولما أدركه[1] الارهاقُ مجلّلاً بالدم والغبار ، 1595
فقد جعلَ من القتلى سَداً مَهيباً .
ثم تقدمتْ نحونا فرقةٌ أخرى من فِرَقهم ،
وأوقف الرومان ضرباتِهم ليَصلوا اليه .
كانوا جميعاً يريدون أن يَزيدوه إرهاقاً ونصَباً .
أما هو فقد قال لي : « كفى يا عزيزي أربات، 1600
إن الدمَ والغضبَ ليدفعان بي إلى الأمام ؛

١) أدرك البطل ميتريدات .

وان نسلمّهم ميتريدات حياً . »

وما هي إلاّ لحظاتٍ حتى أغمدَ سيفَه في صدره .

ولكنّ الموْتَ خانَهُ – مرةً أخرى – ولم يُعانِقْ

روحَه الكبيرة .

فسقطَ البطلُ بين ذراعيّ مضرّجاً بالدماء ١٦٠٥

ضعيفاً كليلاً حانقاً ناقماً على موتٍ بطيءٍ لا يُدركُه ؛

ثم رفعَ يدَه المُتثاقِلة

شاكياً إليّ بقيةَ عمرِه المُتطاولة ؛

وإذ أشارَ بيَدي إلى حيثُ قلبُه ،

فقد كان يبدو وكأنه يستجدي مني ضربة قاضية، ١٦١٠

ولما كنتُ مأخوذاً بألمي المرير

رحت أفكر في تسديدُ الضربةِ إلى قلبي لا إلى قلبه ،

إذا بصيحاتٍ عظيمةٍ تشدُّ نظري إليها :

رأيت ، مَن كان يظنُّ ذلك ، رأيتُ الرومان وفرناس

ينهزمون مُرتدّين على أعقابهم في كلِّ اتجاه ، ١٦١٥

تاركين القلعةَ مولّين الأدبارَ نحو مراكبهم ؛

ويَنْقَشِعُ الغُبارُ – أمامَ عَيْنيّ الذاهِلتَين – عن

الظافرِ زيفاريس

متقدماً نحونَا على قابِ قوسين أو أدنى .

مونيم : — يا للسماءِ العادلة !

أربات : — إن زيفاريس الذي ظلّ على الدوامِ مخلصاً وفياً ،
والذي أحدقتْ به كتيبةٌ متمردةٌ 1620
في قلب المعركة بأمرٍ من أخيه ،
والذي أفلت من بين سواعدهم
قاهراً أكثرَهم تمَردا ، ومُستميلاً اليه باقيهم ،
مليئاً بفرح غامر في تلك اللحظة المشؤومة ،
فقد راح يشُقُّ طريقاً مُظفراً نحو أبيه 1625
عَبْرَ آلافِ القتلى مِلْءَ بُرْدَيه الحمِيةُ والغَلَبَة .
فتأملي أية فظاعة أعقبت هذه الفرحة .
لقد كاد ساعدُه يَطرحه بلا حياة على قدَمي الملك .
ولكن،سرعان ما تراكضوا وحالوا دون تهالكه ويأسه
نظر الملكُ إليّ ، عند هذه اللحظة الحزينة ، 1630
وقال لي بصوت مُتهدج :
« بادِرْ وأنقذِ الملكة قبل فوات الأوان . »
صُعِقْتُ لهذه الكلمات وأخذتني الرِّعْدَةُ من أجلكِ
ومن أجل زيفاريس :
أوجستُ خِيفةً وشككتُ ان يكونَ في الأمر
سرٌّ مُبَيت .
ورغم اني كنتُ منهوكَ القوى فان خوفي واندفاعي 1635
مَنَحاني عزماً جديداً في الهروع اليكِ ؛

وأراني جدُّ سعيد رُغم مصائبنا
ان أكونَ قد تداركتُ الضربةَ التي كانت ستُودي
بكما كليكما .

مونيم : — آه ! لكَمْ أرثي المصيرَ الحزينَ لهذا الملك العظيم ،
بعد أهوالٍ كثيرة روعتني حقاً ! ١٦٤٠
ويلاه ! ليتني ما كنت — أنا نفسي -
سببَ نهايته الفاجعة ومصيره القاسي الرهيب !
ليتني أستطيع انأبكيه من دون ان أجني[١] او آثمَ [٢]،
بل شاهدةً مَنْسِيَّةً[٣] على الشقاءِ الذي يُرهقه !
ها هو قادم. أيتها السماء، أي اضطراب غريب[٤] ١٦٤٥
يُثيرُه في كياني دمُ الأب ودموعُ الإبن !

---

١) أكون جانية .
٢) ذلك أن مونيم تعتقد انها قد جنت على ميتريدات بطريقة غير مباشرة بسبب الحب الذي أوحت به لفرناس . ٣) مغمورة لا يعرفها أحد .
4) Nouveau.

المشهد الخامس

ميتريدات – زيفاريس – أربات – أركاس –

حرس (يتكىء عليهم ميتريدات)

مونيم : – أواه! ماذا أرى يا مولاي، وأيُّ مصيرٍ هو مصيرُك!

ميتريدات : – كفى واحبِسا دموعَكما كلاكما.

(يشير إلى زيفاريس)

إن مصيري يريد من عاطفتِها ومحبتِك

مشاعرَ أخرى غير مشاعر الرحمة والإشفاق؛ ١٦٥٠

إن مجدي الجديرَ حقاً بأن يكونَ مَدعاةَ إعجاب

يجبُ ألاّ يُدنَّسَ أبداً بالدموعِ والانتحاب.

لقد انتقمتُ للعالمِ جهدَ طاقتي وقوتي:

الموتُ وحدَه أوقفَني عما ندبتُ نفسي إليه.

أنا، العدوّ للرومان وللطغيان، ١٦٥٥

لم أخضعْ قط لعارِ نيرِهم وذلّ قيدِهم؛

إني لأجرؤُ فأتباهى أن أحداً من بين الأسماءِ المرموقة



ميتريدات : أنتِ وحدكِ بقيت لي : فاسمحي لي يا سيدتي
أن تكوني عطائي . ان كل تلك الرغبات
التي كنتُ أطلبها منك يسألكِ إياها قلبي لزيفاريس .

التي اشتهرت بكلّ ذلك الحقدِ عليهم
لم يجعلْهم يشترون النصرَ بمثلِ ما اشتروه مني ؛
ولا يومَ النحس[1] الذي امتلأ به تاريخُهم .   ١٦٦٦٠
إن السماءَ لم تشأ ، حين أتممتُ خطتي ،
أن تراني روما، وهي رُكام ، أموتُ في قلب ساحاتها.
ولكن فرحةً تعزّيني — على الأقلّ — لحظةَ أموت :
هي أنني أموتُ محاطاً بأعداء قضيتُ عليهم ؛
لقد استطعتُ أن أغمسَ يَدي في دَمِهم الأسودِ
البَغيض ،   ١٦٦٥

وأن تشهدَ آخرُ نظراتي فرارَ الرومانِ واندحارَهم .
إني أدينُ بهذا التوفيقِ[2] لولدي زيفاريس:
لقد وفّرَ على موتي رؤيةَ وجودِهم الكريه .
فهلاّ دفعتُ ثمنَ هذه الخدمةِ العظيمة
بكلّ ما كان لعَرشي من ألَقٍ وبَهاء !   ١٦٧٠
بَيْدَ أنكِ كنتِ لي بمثابةِ مملكةٍ وتاج ؛

---

١) المقصود بذلك « أيام النحس » . وهي الأيام التي كان الرومان يحتفلون بها في روما تخليداً لذكرى كل هزيمة مُنكرة يمنون بهـا . فيعطلون أعمالهم ويقيمون شعائرَ الذكرى احياءً للهمم ودرساً للأجيال الصاعدة .

2) Fortune.

أنتِ وحدَكِ بقيتِ لي ، فاسمحي لي يا سيدتي
أن تكوني عَطائي [الأخير] . إن كلّ تلك الرغبات
التي كنتُ أطلبُها منكِ يسألك إياها قلبي لزيفاريس .

مونيم : — إحْيَ يا مولاي . إحْيَ من أجل سعادة العالم ، ١٦٧٥
من أجلِ حريةِ العالم التي عليكَ وحدَك مُعَوَّلُها ؛
إحْيَ لتنتصرَ على عدوٍّ منهزم ،
لتنتقم . . .

ميتريدات : — قُضِيَ الأمرُ يا سيدتي . حَسْبي ما عِشْت .
إي بني : فكرْ في أمرك : وحذارَ أن تعتقد[1]
أن بوسعِكَ أن تَرُدَّ عن نفسِك أعداءَ كثيرين ١٦٨٠
سيأتي الرومانُ بأسرِهم اليك هنا وعما قريب ،
ليتدفّقوا عليك من كل حدب وصوب يتأكلهم عارُهم .
لا تُضِعْ أبداً الوقتَ الذي يُتيحه لك هربُهم
ولا تَصْرفه في الاهتمام بجنازتي وبواجباتٍ أنا أعفيك منها[2]
ان رومانيين كثيرين صرعى ، مشتتين تحت كل سماء[3] ، ١٦٨٥
يُرْضون رفاتي ويُكسبونها شرفاً ومجدا .
فاخْفِ عنهم ، الى حين ، اسمَك ووجودَك .
هيا ، أنج بنفسك . . .

---

1) Prétendre. 2) Dont je vous quitte. 3) En cent lieux.

زيفاريس : — أنا ، يا مولاي ، أنجو بنفسي !
ألا يتكبد قريباً فرناس الواتر[1]
والرومان الظافرون . . . ١٦٩٠

ميتريدات : — لا ، انني أمنعك من ذلك .
لا بد ان يَهلكَ فرناس عاجلاً أو آجلا .
فدع للرومان أمرَ هلاكه .
ولكني أُحسُّ بانهيار قِواي ومشاعري ،
أحس بدنو ساعتي . اقترب مني يا بُني .
ففي هذا العناق الذي تُسكرني عذوبتُه ١٦٩٥
تعالَ وتقبلْ روحَ ميتريدات وحُشاشتَه .

مونيم : انه يموت .

زيفاريس : — أواه ! لنُوَحِّدْ يا سيدتي آلامنا ،
ولنأتِ له بالمنتقمين من شتى أنحاء الأرض .

— تمت —

[1]) الذي لم يُثأر منه بعد .

وثائق تاريخية

I – ميتريدات في معركته الأخيرة :

كان لهذا الملك جيش مؤلف من ثلاثين ألف مقاتل وألفي حصان؛ ولكنه لم يكن ليجرؤ على خوض هذه المعركة . ولما كان معسكراً أول الأمر على جبل منيع حيث لم يكن من السهل مهاجمته ؛ فقد تخلى رغم ذلك عن هذا الموقع لأن الماء كان ينقصه . فسارع پومپيوس الى الإستيلاء عليه [...] ثم راح يواجه ميتريدات ويحيط به من كل جانب مقيماً حوله سوراً من الخنادق والكمائن . ولكن ميتريدات المحاصر منذ ٤٥ يوماً استطاع أن ينجو بنفسه مع خيرة رجال جيشه [...] وراح پومپيوس يطارده حتى أدركه بالقرب من الفرات حيث عسكر هناك . ولما كان يخشى أن يبادر ميتريدات الى عبور النهر فقد قذف عند منتصف الليل بجيشه ليحول دون ذلك . حدث ذلك – على ما يؤكدون – في الساعة نفسها التي كان ميتريدات قد رأى فيها أثناء نومه رؤيا تنبأت له بمصيره [...] وكان لا يزال في حالة هياج من هذه الرؤيا لحظة

دخل رجاله الى خيمته لإيقاظه وليعلموه بقدوم پومپيوس [...]
ولما كان هذا الأخير لا يجرؤ على خوض معركة ليليـة [...] فقد
استطاع ضباطه الكبار أن يقنعوه بخوضها كيلا يفلت ميتريدات
من بين أيديهم خاصة وأن الليل لم يكن حالك السواد ، وأن
القمر وإن كان فوق الأفق إلا أنه لا يزال يسمح برؤيـة الأشياء
جيـداً . هذا الظرف بالذات هو الذي خدع جنود ميتريدات ،
وذلك لأن الرومانيين أخذوا يتقدمون والقمر من ورائهم ، ولمـا
كان فويق الأفق ، فإن ظلال الأجسام راحت تمتد بفعله امتداداً
طويلاً فتقع على جنوده وتمنعهم من أن يحددوا بدقـة المسافة التي
تبعدهم عن الرومان ، لذا راحوا يتخيلونهم قريبين جداً منهم في
حين أنهم كانوا لا يزالون بعيدين عنهم .. وهكذا بدأوا يسددون
نحوهم حرابهم ولكن عبثاً ، اذ لم يكن أمامهم غير أشباح الرومان
وظلالهم . ولمـا أدرك هؤلاء حقيقة الأمر انقضوا عليهم وهم
يطلقون أصواتاً تشق عنان السماء . أما البرابرة جنود ميتريدات
الذين لم يجسروا على لقـائهم فقد أخذتهم الرعدة وولوا الأدبار
تاركين وراءهم عشرة آلاف قتيل ، واستولى الرومان على المعسكر .

وأما ميتريدات فقد اخترق صفوف الرومان بثمانمائة فارس ،
ثم ما لبث أن لاذ بالفرار ، وقد تشتت فرسانه ، وبقي وحده مع
ثلاثة أشخاص من بينهم إحدى محظياته هپسيكراتيه التي أظهرت
دائماً شجاعة مدهشة وجرأة نادرة .

(بلوتارك : حياة بومبيوس)

II – نهاية ميتريدات وخيانة ابنه فرناس

لم يستسلم ميتريدات لصروف الدهر : إذ انه لما كان يستعين بإرادته أكثر من جيوشه ولما كان على الأخص مصمماً على انتهاز فرصة وجود پومپيوس في سوريا ، فقد منى نفسه بان يتجه نحو الدانوب مجتازاً بلاد السيتيين فينطلق من هنـاك ليجتاح ايطاليا ، واضعاً في تفكيره دائماً سوء المنقلب وحُسنَه . لهذا كان يعتقد بأنه قادر على كل شيء وغير يائس من شيء . كان يفضل ان يهلك تحت أنقاض عرشه بقلب جسور على ان يعيش في الهوان والظلام بلا عرش ولا صولجان . ذلك كان تصميمه وعزمه دائماً . فكلما كان جسمه منهوكاً مستنزفاً كانت روحه تزداد قوة وبأساً . وما وهنت قواه يوماً الا وشدتها روحه وردتها الى الحيـاة والنشاط . ولكن أولئك الذين كانوا يظهرون له الولاء في ذلك الوقت راحوا يتخلون عنه حين رأوا تزايد قوة الرومان وتناقص قوته يوماً بعد يوم : وفوق المصائب العديدة التي نزلت به فقد حدثت أبشع زلزلة أرضية يمكن لانسان ان يذكرها ، حطمت كثيراً من مُدُنه ، كما اندلعت في جيشه فتن وأحقاد ، ويقال انهم خطفوا له العديد من أطفاله حيث اقتيدوا الى پومپيوس . ولكن ميتريدات استطاع ان يلقي القبض على كثير من هؤلاء المتآمرين المجرمين ويُعدمهم . غير انه راح – في خضم غضبه – يعاقب على أقـل شبهة رجالاً أبرياء ولم يعد يثق بأحد ولا يأمن جانب أقرب الناس اليه . اما ما تبقى من اولاده فقد أمر بذبحهم جميعاً حين اشتبه

بأمرهم . وفرناس أحد أبنائه الذي كان شاهد عيان على قساوته وفظائعه لقي ، هو الآخر ، حتفه مخافة ان يضعه الرومان على العرش من بعده لا سيا وقد بلغ فرناس سن الرشد؛ ولقد اكتُشفت جزيمته (لأن حركاته وسكناته كانت مراقبة سراً وعلانية) وكان مقدراً له ان ينال جزاءه في الحال لو ان حرس الملك العجوز كان يكن له بعض الاخلاص. ولكن ميتريدات الذي عُرف بمهارته في السيطرة كان يجهل ان الاسلحة والعدد الكبير من الاتباع ، حين لا يحملون الحب لملكهم ، ليس لهم – والحالة هذه – أية فائدة . وعلى العكس فكلما ازداد عددهم وجب الاحتراس منهم. وهذا فرناس الذي يأتي على رأس الرجال المؤيدين له منذ البداية من أجل غاياته ، وأولئك الذين أرسلهم ميتريدات للقبض عليه (والذين سهل على فرناس استمالتهم) ، فرناس هذا سار لمناهضة أبيه ومحاربته غير متستر ولا هياب .

ولما أدرك الملك العجوز هذا الخبر – وقد كان في پونتيكاپيه – أرسل ضد ابنه بعض الجنود الذين وعدهم باللحاق بهم فيما بعد . ولكن فرناس سرعان ما استمالهم لمصلحته ، وذلك لأنهم هم أيضاً لم يكونوا يحبون ميتريدات ويحترمونه . وهكذا استولى فرناس على المدينة التي لم تُبدِ أية مقاومة ، كما قضى على أبيه في القصر الذي لجأ إليه .

حاول ميتريدات الإنتحار بعد أن أعطى السم لنسائه ومن سَلِم

من أولاده ثم تجرّع الباقي . ولكنه لم يستطع أن يقتل نفسه لا بالسم ولا بالسيف . كان السم زعافاً قتّالاً ومع هذا لم يؤثر فيه ولم يقتله ذلك لأن ميتريدات كان يحمي نفسه بمناعة ضد السموم وضد الموت بحيث كان يتناول منه كل يوم .

أما طعنة السيف فقد أضعف من وقعها وَهَنُ القوى وتقدم السن والكوارث النازلة . ولما لم يستطع ميتريدات أن يموت بيده، وظهر له أنه قد يعيش طويلاً ، راح الرجال الذين أرسلهم ضد ابنه يعاجلونه بضربات سيوفهم وحرابهم ملقين بأنفسهم عليه موردينه موارد الردى بالسرعة التي أرادها لنفسه .

وهكذا وبهذه الصورة الرائعة ختم هذا الملك حياته[1] ، بعد أن تجرع صروف الأيام وغالب الدهر حتى غلبه وكان مصداق قول المتنبي :

تمرّستُ بالآفاقِ حتى تركتُها
تقول أماتَ الموتُ أم ذُعِرَ الذعرُ ا

III – مونيم :

إن التاريخ لم يحتفظ من أسماء زوجات ميتريدات بسوى اسم

---

١) ديون كاسيوس في كتابه : التاريخ الروماني ـ الجزء السابع والثلاثون .

مونيم وبرينيس وستراتونيس وهپسيكراتيه . أما مونيم ابنة فيلوپيمين فهي أشهرهن . ومن المرجح أن الملك قد التقى بها عام ٨٨ ؟ بعد أن غزا مسقط رأسها؛ فعرض على اليونانية الحسناء ١٥ ألف قطعة ذهبية ولكن مونيم قاومت هذا العرض بشدة فاضطر عندئذٍ إلى أن يقبل بشروطها هي وأهمها : منحها التاج ولأبيها ولاية إيفيز . ثم أمضيا شهر العسل في « پرغام » وسط حفلات ملوكية رائعة . ولقد دام حب ميتريدات لها مدة طويلة. ويروى أن پومپيوس اكتشف في « الشاتو نوف » مجموعة كاملة من الرسائل الغرامية تبادلها العاشقان مونيم وميتريدات ، ذات أسلوب داعر ونزعة أباحية . كل هذا لم يمنع ميتريدات من أن يعامل الحسناء مونيم كباقي نسائه ، وأن يجعلها تعيش داخل جدران « الحريم ».

---

١) ت. ريناك في كتابه : ميتريدات ايباتور ص ٢٩٦ .

روائع الأدب الفرنسي الكلاسيكي

يصدر تباعاً

١	السيّد	مأساة	بيير كورني
٢	أندروماك	مأساة	جان راسين
٣	المتحذلقات	ملهاة	موليير
٤	طرطوف	ملهاة	موليير
٥	فيدر	مأساة	جان راسين
٦	بايزيد	مأساة	جان راسين
٧	هوراس	مأساة	بيير كورني
٨	النساء العالمات	ملهاة	موليير
٩	برينيس	مأساة	جان راسين
١٠	البخيل	ملهاة	موليير
١١	مريض الوهم	ملهاة	موليير
١٢	الطبيب رغماً عنه	ملهاة	موليير
١٣	دون جوان	ملهاة	موليير
١٤	بريتانيكوس	مأساة	جان راسين
١٥	كاره البشر	ملهاة	موليير
١٦	إيفيجيني	مأساة	جان راسين
١٧	ميتريدات	مأساة	جان راسين
١٨	المثري النبيل	ملهاة	موليير
١٩	مدرسة الأزواج	ملهاة	موليير
٢٠	سينا	مأساة	بيير كورني
٢١	بوليوكت	مأساة	بيير كورني
٢٢	نيكوميد	مأساة	بيير كورني
٢٣	رودو غين	مأساة	بيير كورني
٢٤	أتالي	مأساة	جان راسين

تمّ طبع هذا الكتاب على مطابع

دار الكتاب اللبناني

بيروت ص.ب ٣١٧٦ ـ تلفون ٢٢٧٩٨٣

سنة ١٩٦٨

RACINE

MITHRIDATE

Tragédie


Bibliotheca Alexandrina
0725618

Éditeurs :

DAR AL-KITAB AL-LUBNANI

BEYROUTH